17 ème Année No. 823

Lundi — 11 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٩٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٢٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ١١ أبريل سنة ١٩٤٩ « السنة السابعة عشرة

أيها المنطق ... لقد خبرناك !

أذاعت شركة رويتر للأنباء الشرقية منذ أيام نبأ خطيراً اهتزت له قلوب هنا وقلوب هناك ! وبعض الاهتزاز يثيره العجب حيناً ويثيره الإعجاب حيناً آخر ... العجب من تناقض الأقوال والأفعال ، والإعجاب بهذه القدرة القادرة على التحول من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى الشمال . ولا بأس من التحول والتناقض ما دام منطق التبرير يفسر التناقض على ضوء المصلحة الفردية ، ويصور التحول على هدى التلاعب بالألفاظ والعبارات !

وإليك هذا النبأ الخطير : « كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي رفضت اليوم أن تؤيد مساعدة مؤسسة اللاجئين للمهاجرين اليهود إلى إسرائيل ، قبل أن يتفق على حل لمشكلة اللاجئين العرب . أما الأعضاء الخمسة عشر في المجلس العام لهذه المؤسسة ، فقد أعطوا أصواتهم في صالح مساعدة هؤلاء المهاجرين بمبلغ قيمة ملايين دولار ، تصرف لهم خلال السنة التي تنتهي في شهر يونيو المقبل . وقد قال مستر إدموند مندوب بريطانيا في المجلس : إن من غير اللائق إطلاقاً أن تمنح هذه المؤسسة مساعدات لهجرة اليهود إلى فلسطين ، في الوقت الذي تبقى فيه مشكلة اللاجئين العرب معلقة بدون حل » !

وهكذا تجد أن بريطانيا تقف دائماً في صف العرب ... تقف باللفظ المنمق والقول الملفق والتصور المصنوع ! لقد وقفت وحدها لترفع الصوت عالياً ينقل إلى أقطار المعمورة عطفها البالغ على مشكلة اللاجئين العرب ؛ هذا العطف الذي يتمثل في قبض يدها عن مساعدة مؤسسة اللاجئين الدولية للمهاجرين اليهود ! إنك تستطيع أن تقف طويلاً لتزن كلمات المندوب البريطاني بميزان القيمة اللفظية التي ترتكز على دعائمها كل نتيجة عملية ... تستطيع أن تقف عند هذا التبرير الذي يمكن أن يبرر بوادر الانحراف في القريب ، وهو أن بريطانيا ترى « من غير اللائق » إطلاقاً أن تؤيد مؤسسة المهاجرين اليهود قبل الاتفاق على حل لمشكلة اللاجئين العرب ! إننا واثقون من أن بريطانيا لا تعني ما تقول ، وأنها ستؤيد فعلاً ما تنكرت له اليوم ، وأنها ستمد لليهود يد العون كما مدتها لهم من قبل ، ولا اعتراض بعد ذلك ولا عتاب ... وأي اعتراض هذا الذي يمكن أن يوجه إلى المنطق البريطاني حين يعالج القضايا الدولية بأمثال تلك الكلمات التي تنساب من كفتي الميزان كما تنساب قطرات الزئبق دون أن تلحظها عيون ؟ ! إن المنطق البريطاني يمد لكل موقف يحتمل التحول ما يلائمه من صيغ وعبارات . ولن تجد في قاموس البلاغة الدبلوماسية أهون ولا أبرح ولا أروع من هذا التعبير : « إن من غير اللائق » أن يحدث هذا الأمر ؛ و« إن من غير اللائق » أن يقع ذاك ! هذا الوضع لائق ، وهذا الوضع لا يليق ... ولا بأس من هذه التعبيرات الزئبقية التي يطالعنا بها المنطق البريطاني اليوم كما طالعنا بها بالأمس ، حين وقف مستر بفين ليعلن على رءوس الأشهاد في مجلس العموم أن بريطانيا ترى « من غير اللائق » أن تعترف بحكومة إسرائيل ، لأن هذه الحكومة لم تتوفر لها الأسباب القانونية التي تبرر قيام دولة مستقرة الجوانب مكتملة

من خصائص الأدب المسرحي

للدكتور محمد القصاص

مما يؤثر عن وتشار فاجنر قوله : « إن المسرح في أتم أشكاله هو المكان المقدس الذي تلتقي فيه جميع الفنون وتتزاوج ويذوب بعضها في بعض . وتلك هي فكرة الفن المسرحي كما تصوره كبار التراجيديين الإغريق قبل الميلاد بقرون . والواقع أن المسرح ، والمسرح وحده ، هو الذي يستطيع أن يقدم للناظر الحد الأعلى من نشاط فني يتضافر فيه الفن المرئي plastique والموسيقى والشعر ، بأنصبة متساوية متناسقة ، على أن تسحر بصره وسمعه وقلبه وعقله في آن واحد . ولكن أيصدق هذا الحكم في عصرنا الحالي على المسرح الغنائي وحده (Le théatre Lyrique وهو الأوبرا البحتة) وهو الذي عناه فاجنر بلا ريب في جملته السالفة الذكر دون أن يصدق على الدرامة الأدبية ، الدرامة التي تتكلم لا التي تغنى ؟ نحن لا نظن ذلك بأية حال لأن كل تأليف مسرحي مهما كان حظه من الروح الأدبي ومن التجريد العقلي لا يمكنه أن يستغني عن مشاركة الفنون الأخرى في تكوينه دون أن يختل توازنه ويفقد مقومات العمل المسرحي الأساسية . إذ لا سبيل له إلى القلب ولا إلى النفس دون العين والأذن . فالتمثيلية لا تفرض على مؤلفها أن يعنى بالكتابة وأن يراعي القيم الأدبية فحسب ، هذا العمل الذي يتفق فيه مع كاتب المقالة والقصة والقصيدة ، بل لا بد وأن يوجه اهتمامه نحو الموسيقى يصبها في كلماته ونحو الفن الجسماني من صور وحركات يحمل بها عباراته كأنه يرى ابطاله فوق خشبة المسرح . وأما هذا الإدراك السقيم الذي يسيطر على غالبية كتاب التمثيليات عندنا من بين رجال الأدب ، فيجعلهم ينظرون إلى التأليف المسرحي على أنه عمل كتابي محض ، فهو الذي يضرب على آثارهم بالبوار ويحرم المسرح المصري مشاركة أدباء العربية في الأخذ بيده وترقيته . بل في يقيننا أن هذا الإدراك الخاطيء قد أصاب المسرح المصري بشيء من العقم لما باعد بين الأدباء وبين المسرح .

ذلك أن الأدب المسرحي ، إذا سلمنا بأنه فن من فنون الأدب يتميز عما عداه بأنه يفيض عما هو مكتوب ، فهو وحده من بين سائر الفنون الأدبية — وسمه الخطابة إلى حد ما — الذي يتوفر له وجودان : وجود داخل الكتاب ، ووجود خارج الكتاب . وإذا أمكنه أن يستغني عن وجوده في الكتاب فلن يتأتى له أن يستغني عن الوجود خارجه ، وإذا أتيح له ألا يكون أدبياً فلن يجوز ألا يكون مسرحياً .

ذلك أن النص ليس كل شيء ، وإن كنا لا ننكر أهميته الكبرى ، فهو نواة الدرامة والخلية الأم التي لا يمكن الاستغناء عنها إذا قصدت . لأن الفكر إذا ما تخلى عن النص ، أي عن الألفاظ والعبارات ، فقد تخلى عن تحديده لنفسه وبالتالي عن وجوده خارج الفكر . وإذا كان التفكير عن المسرح أمر مستحيل الوقوع ، لأن المسرح إذا ما باعدنا بينه وبين الفكر فقد فرغناه من لبه ومن مادته الأساسية . وهذا إزراء به وحط من قدره . ولكن ذلك لا ينبغي أن ينسينا أن الدرامة لها لغتها ، وهي غير لغة القصيدة وغير لغة المقالة والقصة ؛ لأن آثار الفن الأدبي غير المسرحي إذا لم تجد قارئها المأمول يوم صدورها أمكن لها أن تنتظر قارئاً بعيداً لم يوجد بعد . يساعدها على ذلك أن كاتبها (وهو الذي نسميه الكاتب البحت) في وسعه أن يودعها كل ما في نفسه أو جله على الأقل لا يحده في ذلك من خارج فنه إلا مقتضيات اللغة العامة من نحو وصرف ومفردات وما هو من هذا القبيل . أما الكاتب المسرحي فإنه إذا أخذ نفسه بالنظر إلى الكلمة نظرة الشاعر والقاص فراح يمد كتابه بالكلمات الرصينة والصيغ الجميلة والتراكيب المتينة المتشبعة بالحياة ، دون مراعاة لما تقضي به ظروف المسرح الخاصة ، فإنه يجعل من مسرحياته أعمالاً لا تصلح لغير القراءة أو الاحتفاظ بها في أحد المتاحف أو المكاتب العامة لأنها في هذه الحال تكون أعمالاً جامدة في حروفها لا تستطيع الخلاص منها : فعلى كاتب التمثيلية إذن أن يحمل كلماته بتلك القوة المسرحية التي تجعل منها كلمات مسرحية ملفوظة وفاعلة .

نعم إن الكلمة تتحكم في كل شيء (الكتاب والمسرح في ذلك سواء) ، فهي مندوب القلب والفكر ، مندوب النفس

الكيان ... ومع ذلك فقد رأت بريطانيا أن تعترف بحكومة إسرائيل ، لأن « من غير اللائق » أن تسبقها أمريكا إلى هذه المكرمة ، والعهد بالشرف البريطاني أنه السباق دائماً إلى المكرمات !

أيها القطن : حنانيك ... لقد عرفناك ، ودرسناك ، وخبرناك !

(ا . م)

جميعها . غير أنها فى المسرح يجب أن تمر من فم الإنسان وأن تبعث الحياة والحركة فى كائنات إنسانية من لحم ودم ؛ يجب أن تفعل لأنها هى التى تعطى الحياة وتملى الحديث . وهى قبل أن تصيب السامع وتحركه يجب أن تصيب وتحرك جهازاً كاملا معقداً متناثر التركيب : هو المسرح بأسره بما فيه من أشياء مادية وكائنات إنسانية . والكاتب المسرحى وحده دون المخرج والممثل هو الذى يبث هذه الصفات فى كلماته وعباراته ، فى القطعة التى يكتبها بجميع مقوماتها . والكاتب المسرحى الذى يستحق هذا اللقب لا يعتبر نفسه قد خلق خلقاً مسرحياً إذا ما تناول قلمه ونشر قرطاسه وراح يسجل عليه حلماً جميلا من ابتكاره ، غير آبه بظروف المسرح الخاصة ، حتى ولو كان هذا التسجيل آية فى الجمال الأدبى والكمال النطقى معاً . أجل لا يصح لهذا الكاتب أن يعتبر نفسه قد خلق عملا مسرحياً إذا ما ألف بين جماعة تتحاب وتتباغض ، تعيش وتموت ، تبعاً لهواه وإرادته ، دون أن يكون هذا الحلم ممكن التحقيق ، ممكن « اللعب » ، ممكن الظهور فى الخارج وفوق خشبة المسرح . لأنه ليس فى مقدور المخرج والممثل أن يخلصا على عمله ولفته من الحياة والحركة ومن الصور والأشارات ما لم يستطع هو أن يقوم به ، اللهم إلا عن طريق الانفعال الظاهر ، وفى هذه الحال يرى المتفرجون أنفسهم أمام قطعتين تمثلان فى آن واحد ويقوم بتمثيلهما نفس الأشخاص : إحداهما ملفوظة من خلق الكاتب ، والأخرى « ملدوبة » من خلق المخرج والممثل ؛ أو بأن يخلقا عمله خلقاً جديداً يختلف اختلافاً جوهرياً عما أراده ، وفى هذه الحال من حق كل شخص أن يتساءل لمن تنسب هذه الرواية ، أللكاتب أم للمخرج وفرقته ؟

نحن لا نعنى بذلك أن يعمد المؤلف إلى رسم هذه الحياة فى روايته بكل تفاصيلها ودقائقها حتى لا يدع شيئاً لتصرف الممثل ونزواته : فمثل هذه المبالغة تضرب على الدراما بالجمود ، فهى فى حاجة إلى حياة أخرى لتتفحصها وتبرزها . وإنما نعنى أن يقترح على الممثل ، من طريق خفى ، مجموعة من الأمكانيات ليختار من بينها : على الكاتب أن يشير ويبدأ ، وعلى الممثل أن ينفذ ويكمل.

وهذا الذى قدمنا يفترض فى المؤلف مسرحه خاصة يوسس المسرح الفنية وأن تكون له به حاسة فطرية — ولن يكون كاتباً مسرحياً دون هذه الحاسة . ويا حبذا لو أتمها فى نفسه بالممارسة . فمعظم الكتاب المسرحيين الخالدين كانوا يقومون بإخراج وتمثيل ما يكتبون ، مثل شكسبير وموليير . ونحن نعلم أن جان كوكتو الكاتب الفرنسى المعروف الذى يقيم الآن بيننا مخرج كبير ، وقد رأيته بعينى يقوم بتمثيل الدور الرئيسى لإحدى مسرحياته على مسرح الأمبسادور فى باريس . ذلك أن الكاتب لا يكتب روايته للقراءة أصلا ، بل للمسرح وللمسرح خاص ، ومن أجل الجمهور ، جمهور خاص ، ولتمثل دون تأجيل فيتحتم عليه أن يكون على معرفة عميقة بهذا المحيط .

قد يقول معترض إن اعتبار الأثر المسرحى على هذا النحو من شأنه أن يقضى على هذا بأن يكون لاحقاً بعصره الذى ألف فيه ، رهناً بالظروف التى أحاطت بكتابته ، ما دامت حال المسرح فى تغير دائم . وهذا حق من جهة وباطل من جهة أخرى . حق لأن الكاتب يجب أن يكتب للعصر الذى يعيش فيه وأن يراعى فيما يكتب ظروف المسرح العابرة وتلك الوسائل التى فى متناول يده فى اللحظة التى يكتب فيها بما فيها من خير وشر ، ولذلك فإنه لا يكاد يبقى من عمله للأجيال المقبلة إلا الجهود الأدبى دون العناصر المسرحية التى لا يمكن إدراكها على حقيقتها إلا للذين عاصروا تحقيق الرواية ؛ ونحن نسلم أن الأثر الأدبى ليس كل شىء فى المسرحية . وباطل من جهة أخرى لأن التأليف المسرحى لا يمكن أن يتخطى جيله إلى الأجيال المقبلة إلا بهذه الشروط التى أسلفنا الكلام عنها . وإذا لم يبق من عمل الكاتب بعد قرن أو أقل أو أكثر من قرن إلا كلمات ، فإن هذه الكلمات تكون فى تلك الحال جديرة بالاحتفاظ بشىء من هذه الحركة الفعالة الخاصة بالدراما . فإن كان صاحبها قد كتبها بعيدة عن فكرة التطبيق كان لها جمالها ولا ريب ، ولكنه جمال من نوع آخر . أما إذا أحسسنا حياة عميقة تسرى فى شرايينها فلا شك أن هذه الحياة إنما جاءتها من أن المؤلف قد تصورها متصلة بعصرها الذى كتبت فيه ، وكتبها لتحقق وسط الحياة التى عاشت فيها ومن أنها قد حييها بالفعل وفوق المسرح أناس من لحم ودم . لأن الكلمات المكتوبة إذا كانت قد كتبت حقاً

أساليب التفكير :

التفكير الفلسفي

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز الميجي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

الفلسفة والشعر :

بل إن أطول الفلاسفة باعاً في ميدان التأمل ليس بمنجاة من شطحات الخيال ، ونزوات الشعر ، وضغط القصائد الكبيرة — تعصف بينائهم الفلسفي بين حين وآخر حتى لتكاد من قوتها لدى البعض أن تسلكهم في عداد الشعراء المتفلسفين ، أو الفلاسفة الشاعريين . فذاك أفلاطون : برغم عبقريته الفلسفية ، وتناسق مذهبه ، وتكامل آرائه ، تعصف به في رحلة الفكر أنواء الخيال ، وتهب عليه في جفاف البحث العقلي نسمات شاعرية تتبدى في نظرية المُثُل وما يورد لها من تشبيهات ، كقصة الكهف المشهورة التي ترى الحياة الدنيا أناسا يحيون في كهف مظلم ، مقيدين بالأغلال حتى ليقضون العمر مولين ظهورهم لباب الكهف لا يستطيعون حراكاً ، وموكب الحياة والأحياء ماض في سبيله أمام باب الكهف لا يرون منه غير أشباح واهية ترسلها شمس قوية من خارج على جدار الكهف . فهم لطول العهد بتلك الأشباح ولحرمانهم من معرفة الأصول التي تنبعث عنها يظنون لجهلهم وجمود فكرهم أنها الحقائق . كذلك شأننا في الحياة الدنيا ، طال مقامنا فيها ، وكبلتنا أغلال الحس وسلاسل البدن ، فتوهمنا الكائنات المادية حقائق واقعة ، في حين أنها صور زائلة لحقائق باقية ، ممسوخ مشوهة لمثل كاملة ؛ ثم يمضي أفلاطون الحالم بعالم كامل تتحقق فيه المثل العليا التي يطمح إليها ، مثل الحق والخير والجمال ، ليتمثل عالماً آخر غير عالمنا يجد فيه ملاذ من نقائص عالمنا ، ثم يدعو الناس أن يحلموا معه في قول شاعري حلو يورده في محاورته « المأدبة » :

« إن ما يعطي قيمة لهذه الحياة إنما هي مشاهدة الجمال السرمدي نقياً لا تشوبه شائبة ، بسيطاً لا تغطيه أشكال وألوان مصيرها إلى الفناء . هذي مراحل الحب يقطعها في البحث عن ضالته ، وشفاء لغليله ، فهو واسطة ومساعد يحفز النفس إلى الكمال ، ويهيج الذكرى القديمة : ذكرى المثل والحياة السماوية الأولى ، ذكرى الفردوس المفقود نحن إليه بكل جوارحها . فالمحب الحقيق الكامل هو الفيلسوف يزدري الجمال الزائل الذي يملأ النفس جنوناً ليتعلق بالجمال الدائم . »(١)

وبعد ذلك تأمل أفلاطون ، فلسفة تمتزج بالوجدان : فيها تطلع إلى الجمال ، فيها حنين إلى عوالم مبتغاة ، فيها ذكريات وحب وأمل نبيل . ولا عجب فقد زاول أفلاطون الشعر في شبابه ثم صرفه عنه أستاذه سقراط .

وهذا برجسون في العصر الحديث يتميز أسلوبه بطابع رقة وروح فنية تتبدى في منهجه الفلسفي الذي يسلكه في الوصول إلى الحقيقة ، مقابلاً به منهج الاستدلال العقلي الذي يشوه الواقع ولا يزودنا منه إلا بوجهة نظر سطحية تجريدية ؛ ذلك هو منهج الحدس أو الذوق (intuition) كما يحلو للبعض أن يسميه . ويعرفه برجسون بأنه نوع من التعاطف العقلي يتسنى المرء بواسطته كنه الأمور وجوهرها .

وابن سينا — الشيخ الرئيس — يصوغ نظريته في النفس وخلودها وسبق وجودها على الجسد في قصيدته العينية المشهورة

لتمر بأصوات أناس ولتتقمص صورهم وتحرك أعضاءهم وتتشكل بأشكالها فلابد لها من أن تحتفظ بهذه الذكرى . أما إذا كتب المؤلف مسرحيته دون مراعاة لفكرة التحقيق الحالي فقد فقد كيانه ، وما عليه إلا أن يفتش له عن مهنة أخرى .

فالكاتب المسرحي تابع لأمكانيات المسرح ، تابع لأمكانيات الممثلين ، وبعد أن يصفي حسابه مع الأسلوب ومع قوانين الفن المسرحي (من الحركة ، وتسلسل الحوادث ، والتتابع المنطقي والفن المرئي . . . الخ) يرى لزاماً أن يلجأ إلى صاحب الملابس والزخرف والكهربائي والميكانيكي والمخرج ، ثم بعد كل هذا بل قبل كل هذا إلى الممثل . ولا شك أن فن الكاتب يصاب بأفدح الخسائر إذا كان التناسق بين هذه الوسائل مفقوداً أو كان ما في المؤلف من نقص مما يتيح للمخرج أو الممثل أن يشتغل لحسابه الخاص .

محمد القصاص
دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة باريس

(١) نقلا عن الأستاذ يوسف كرم في تاريخ الفلسفة اليونانية .

التي يبين فيها كيف هبطت النفس إلى الجسد من عالم آخر على الرغم منها ، وكيف سجنت في ذلك الجسد ، وكيف تسعى إلى التحرر منه ، والعودة ثانية إلى العالم الثاني ، عالم الروح الخالد .

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تمنع وترفع
محجوبة عن كل مقلة ناظر ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات توجع

* * *

إن كان أهبطها الإله لحكمة ... طويت عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربة لازب ... لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفيـــة ... في العالمين خرقتها لم ترقع

ذلك شعر وخيال ، ومع ذلك فقد كان الشيخ الرئيس فيلسوفاً لأنه يأبى إلا أن يبرهن على روحانية النفس وجوهريتها وخلودها برهنة منطقية .(١)

أما محي الدين بن عربي ، زعيم التصوف الفلسفي في الإسلام فيتصوغ جل مذهبه قصائد شعرية ، زاخر بحر الوجدان ، مشبوب العاطفة ، يعبر عن نظرية وحدة الوجود التي ترى الكون والله كائناً واحداً لا وجودين منفصلين ، وترى كل موجود مظهراً من مظاهر الله أو تجلي يتجلى به الله لعباده حتى ليستوي في نظره كل موجود ويتحد كل دين ، يقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه دانى
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني

* * *

وبعد فلست أريد أن أقحم نفسي في الأدب فأتمثل بشعر أبي العلاء المعري أو رباعيات عمر الخيام أو أناشيد طاغور الصوفية لأبين بعض ما تنطوي عليه من فلسفة عميقة تكسب شعر هؤلاء رصانة وتزيده رونقاً وبهاء . إنما أريد أن أخلص إلى أن النشاط الفكري تيار معقد متشابك متعدد الاتجاهات ، وهو مع ذلك تيار دائب الحركة مستديم الفوران . فالعقل منذ نشأته ، يحاول معرفة الواقع كما هو ، وإرجاع المعلول إلى علته أو كشف الستر عن غايته . فإن كان الإنسان طفلا في بداوة الفكر وطراوة الذهن فالخيال يزود إياه بتفسيرات لا أساس لها من الصحة ، والإيمان مثبت لتلك التفسيرات لا لشيء إلا لأنها تصادف هوى في نفسه ، فلا يصبح — وقد آمن — في حاجة إلى البحث عن دليل أو برهان . وما الداعي إليهما وقد اطمأن قلبه إلى ما وصل إليه من تفسير . ألا ترى إلى المصري القديم مطمئناً كل الاطمئنان إلى خلوده ؟ لا خلود روحه فحسب ، بل خلود جسده أيضاً ؟ واثقاً من البعث حيث يلقى جزاء ما كسب وحساب ما اكتسب ؟ حيث يستمتع بما استمتع به في هذه الحياة من نعيم ، بل حيث يلقى العوض عما حرم منه فيها من سراء ؟!

ما سر يقينه ذلك الذي لا يقبل الشك ؟! رغبة في الخلود كامنة في كل نفس ، وسعي خلق إلى اللذة الكبرى التي تقصر منها حياة الأرض القصيرة الناعسة بالمتاعب والآلام . رغبة عنيدة ، وهوى مستبد ، وطموح متطلع إلى المجهول ، تسخر جميعها المطية القلول ، الخيال ، ليفسر الكون ويكشف عن سر الوجود . بيد أنه عندما تكاثر المعارف الواقعية وتبدو الحقائق الخافية ، ويكتشف الإنسان وهمه فضلاً عن جهله ، لا يجد مناصاً من مواجهة الواقع ، والسعي إلى رد المعلولات إلى العلل ، ونسبة المسببات إلى السبب ؛ تارة في تحرر تهافي من الأهواء وتنحية للخيال ، وتارة في تحرر جزئي منها دون تملك تام لناصية الأمور . إن فضل المرء ذلك قيل إنه عالم أو فيلسوف : عالم إن اكتفى بتقرير الواقع وإرجاع الظواهر المحسة إلى أسبابها ، وسعى إلى اكتشاف قوانين العالم الطبيعي دون غيره باستخدام منهج الملاحظة المباشرة والتجربة المحض ؛ وفيلسوف إن أوغل في التفسير متعدياً حدود العالم الطبيعي ، متجاوزاً البحث في الجزئيات إلى البحث فيما هو أعم وأرحب ، مستخدماً منهج البرهان المنطقي والاستدلال العقلي . أميز هنا بين الفلسفة والعلم برغم أن العصور القديمة بل والحديثة حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادي لم تألف هذا التمييز فكانت جماع المعارف النظرية الحرة من الأسطورة تنضوي تحت كلمة فلسفة أو حكمة ؛ ولم يميز العقل الإنساني ذلك التمييز الحاسم بين شطري النشاط الفكري المتكامل ، إلا في مطلع القرن السابع عشر ، أي في أعقاب عصر النهضة بما خلق من نهضة علمية تجريبية قامت على أنقاض الاتجاهات الفلسفية التقليدية .

عبد المنعم المليجي
المدرس بمدارس حلوان الثانوية

(١) النجاة لابن سينا .

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

— ٣ —

انسحاب الطليان من فزان في عام ١٩١٤ :

٢٤ — يفسر كتّاب إيطاليا أن ظروف التبئة العامة في إيطاليا أملت سياسة إخلاء المستعمرة من حاميتها في الداخل والاكتفاء باحتلال الساحل وبعدون هذا الانسحاب بمثابة نكبة كبرى على الدولة الاستعمارية ، فقد كان هروباً سريع أمام الخطى قوات السنوسيين الذين توغلوا في كل جهة

كانت بقعة نهد السنوسية ولما اشتد ساعدها امتدت حركتها إلى نواحي المستعمرة الأخرى فكان الجزء الجنوبي الممتد شمالي فزان من نصيب السيد محمد الصابد ابن الشريف محمد ابن علي السنوسي الحسني الأدريسي الخطابي الذي بدأ الدعوة إلى الجهاد في تلك الجهات . وقد وجد السيد الصابد أنصاراً له عديدين نفذوا أوامره وقاموا بنشر دعوته خير قيام منهم محمد مهدي السنى ابن محمد ابن عبد الله السنارى وهو من مواليد السودان .

٢٥ — وقد انتشرت دعوته حتى وصلت إلى قبائل الطوارق وانضم إليها كثير من زعماء الجنوب الذين بدأوا يهاجمون المواقع الحصينة التي كان يحتلها الفرنسيون والإيطاليون على السواء وكان أن تألفت حكومة بدوية تحت زعامة دينية تحكمت هاتيك البقاع وبقيت تحتل فزان وأجزاء من الأراضي الفرنسية طول مدة الحرب الماضية حتى تقلص ظلها بسرعة غريبة حينما أرسل نوري باشا القائد التركي ثلاثة من الضباط الممتازين الذين نجحوا في استخلاص فزان والجهات المجاورة واستعملوا أساليب السياسة والدهاء والمفاجأة في تنفيذ أغراضهم .

٢٦ — وكانت أول غارة للثوار ضد حصن سبها الإيطالي في ليلة ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ إذ حمل الهجوم على الحامية ليلا حينما ملا المجاهدون أسوار القلعة وسلطوا نيرانهم وأعملوا السلاح فاضطرت القوة للتسليم إلا من تمكن من الهرب تحت الظلام منسحباً إلى إلى سخنا في الشمال . جاء في وصف هذه المعركة أن رصاص المهاجمين كان ينهمل على عساكر أوتيريا فتسمع أزيز المصابين كما تسمع أصوات الغيران التي أخذت في مصيدة .

ويقول الطليان أن السيد الصابد هو المسئول عن مجزرة سبها إذا انتقل سراً من الكفرة إلى واحة واو الكبير واتخذها مركزاً للدعاية وبعث منها بداعيته مهدي السنى الذي دخل وادي الزلاف وهناك دعا الناس إليه وحرض القاتلين على مهاجمة الحصن حتى إذا نجحوا كان على رأس الغنائم وإذا فشلوا عاد إلى سيده بواو . ولما دخلوا الحصن واستولوا عليه فأصبح طريق فزان مفتوحاً أمامهم .

٢٧ — وما كاد يصل خبر الكارثة إلى السلطات الإيطالية حتى تيقنت بحلول الخطر على حاميتها الموزعة في فزان ، فبعثت بسيارات وصلت إلى مرزوق في ليل ديسمبر سنة ١٩١٤ حملت الضباط والجنود الأوربيين وتركت الحاميات المكونة من عساكر المستعمرات تلتقي بصدورها رصاص الثوار وهي التي تولى قيادتها جاويش عربي من متطوعي الفرق اليمنية اسمه محمد بن عبد الله من قبيلة بني حبيش .

ولاشك في أن تصرف السلطات العسكرية الإيطالية على هذا النحو كان مدعاة لسقوط هيبة إيطالية في الصحراء مدة من الزمن ولم تستردها إلا بعد مضي سنوات طويلة .

٢٨ — ولا بد أن نذكر شيئاً عن هذا اليمني المتطوع في صفوف الإيطاليين فهو قد بدأ خدمته في الصومال الإيطالي ضمن الجنود الذين اعتادت الحكومة الإيطالية تجنيدهم من عرب اليمن رغم أن هذا الجزء من أملاك الدولة العثمانية . وقد أظهر هذا اليمني تفانياً في خدمة إيطاليا إذ توجه في يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩١٤ إلى منزل الضباط بمدينة مرزوق فوجده خالياً فجزم بانسحابهم فقرر في نفسه أن يأخذ مكانهم ، وعاد إلى القلعة وأعلم الحامية بأن الطليان قد ذهبوا إلى الشمال في صدد تلقي أوامر جديدة صادرة إليهم بمداومة القتال وسيمدون ومعهم الإمدادات . وهكذا صمد هذا اليمني على رأس القوة المحاصرة بالقلعة مدة ١٦ يوماً أمام الثوار المحيطين به حتى اتصل بعض هؤلاء برجال الحامية وقرروا التسليم . وتذهب الرواية الإيطالية إلى أنه أخذ العلم الإيطالي الذي كان

يرفرف على القلعة وعاد به إلى منزله حيث حرقه أمام زوجته .

٢٩ — ولما وقع أسيراً أراد السنوسيون أن يستفيدوا من خبرته فى تدريب المقاتلين وتهيئتهم للحرب على طريقة الجيوش الإيطالية فأبى : وعُدّ إباؤه من مفاخره .

وإنما نسوق هذه الحادثة بالذات لأن المؤلفين الطليان اتخذوا منها دليلا على صلاحية التدريب العسكرى الإيطالى وتأثيره فى بعض النفوس من السكان الوطنيين والوصول بها إلى درجة التضحية فى خدمة الحكومة ونهمنا هذه الناحية بالذات ، فإن الفرنسيين قد برعوا فى تجنيد العناصر الملونة الأفريقية ، وتقدموا فى أساليبهم إلى درجة تقرب إلى الكمال فقد رأينا كيف يتعلم السنغالى القواعد الأولى بهوادة وصبر بحيث لا يتعدى التعليم ساعة من النهار موزعة على دقائق معدودة تسمح لهذا المجند أن يستوعب دقائق الأسلحة بطريقة تغلب عليها قواعد علم النفس بحيث يخرج بعد أشهر وهو متحمس إلى الفرقة والعلم ولفرنسا .

فإن الذين يتولون تدريب النفس على القواعد العسكرية نسوق هذه الأمثلة للتدليل على أن تجاوب علم النفس هى التى يجب أن نسير على هديها للتغلب على الصعاب التى تواجهنا فى تهيأة منظمات الشباب وتدريب الجنود : إذ يصعب على النفس أن تقرر نجاح المستعمر الغاصب وقصور الأمم الفتية الناهضة .

٣٠ — هذه الناحية من حياة فزان طوال عامى ١٩١٥ و١٩١٦ تحت الحكم السنوسى تكلم عنها ضابط إيطالى وقع فى أسر السنوسية وامتقل فى معسكرى واو الكبير وواو الناموس وطبيعى أن معلوماته التى دونها فى يومياته مستقاة مما كان يصل إلى علمه من طريق الثوار الذين عاش بينهم .

أما الفترة الثانية التى تولى فيها الضباط الأتراك حكم الولاية فستأتى فى القسم التالى وقد تخللها هجوم من المتطوعين وعمليات حربية داخل الأراضى الفرنسية فى الصحراء الكبرى وأراضى الجزائر والجزء الجنوبى من تونس وهى خارجة عن نطاق فزان وأشير على المهتمين بجهاد الأمم المظلومة والمغرمين بالتاريخ الحربى أن يقرأوا كتاب الكولونيل Larcher عن :

1 . Empire Ottoman En Guerre

استيلاء الأتراك على فزان وانتزاعهم الجزء الجنوبى من مستعمرة ليبيا من أيدى حلفائهم السنوسيين

٣١ — ظهر فى أفق أفريقيا فى أواخر عام ١٩١٦ نورى باشا شقيق المرحوم أنور باشا إذ وصل إلى السلوم وتوجه منها إلى إجدابيه ثم غادر برقه فى غواصة أوصلته إلى مسراطة التى اتخذها مع من معه من الضباط الألمان والأتراك مركزاً لحركاتهم العسكرية ضد الإيطاليين وهى عمليات لا شك أنها خارجة عن موضوع فزان .

٣٢ — وكان نورى باشا[1] فى إجدابيه حينما عرضت عليه فكرة من تلك الأفكار التى لا يتركها تمر أمامه رجل مثله بدون أن ينفذها . وتتلخص هذه الفكرة فى أن مهمته فى طرابلس الغرب ان يلازمها للتوفيق إذا لم يدعم جهاده بعمل حاسم فى الجنوب يرمى إلى احتلال مقاطعة فزان وتحريرها من السنوسيين حتى يتمكن من تهديد المستعمرات الأفريقية للحلفاء أى فرنسا وبريطانيا . باتجاه الصحراء الكبرى وشمال السودان المصرى .

لذلك أرسل بعثتين إلى الجنوب الأولى وجهتها الفكرة والثانية وجهتها فزان .

٣٣ — كانت بعثة فزان مكونة من ثلاثة ضباط : « إحسان ثاقب » و « سنوسى شوكت » و « محمد الأرناؤطى » أما الأول فكان برزباشياً من أهالى طرابلس وتخرج من المدارس العسكرية العثمانية وامتاز بقوة إرادة هائلة وكان الثانى من أهالى برقة تعلم فى مدرسة المدفعية وحصل على رتبة اللازم . أما الثالث فكان من الضباط الشابين الذين لايف أمامهم عائق وهو من كريد .

٣٤ — فلتتصور قوة صغيرة تغادر إجدابيه وتتجه إلى الجنوب وتمر بالراده وبير نعيم وزيلة وفكاد تهاجم من قطاع الطرق ونظراً لضعفها ، تفضل إلى انتزاع إقليم مثل فزان وتهدد منه المستعمرات الأوربية الأخرى .

فعلى الطريق الواقع بين أوجله ومرزوق افترق الثلاثة أبطال . أما أولهم فاتجه رأساً إلى عاصمة فزان حيث دخلها وأقام حكومة باسم السلطان بانضمام قوات السنوسيين إلى لوائه . أما الآخران فكانت وجهتهما واو الكبير حيث استقبلها السيد العابد السنوسى

(١) تولى نورى باشا قيادة حادث انفجار مصنع الذخائر الحربية : وهو صهر الأميرة المصرية عفت حسن : وباء نبه فى الجرائد المصرية عام ١٩٤٩ .

بحفاوة زائدة وأطلقت المدافع ترحيباً بهما وقدما إليه هدايا سلطان تركيا وفرمانا بمنحه رتبة الباشوية كما وزع النقود الذهبية على الجنود والأتباع .

وكان القصد من هذه الحركة الأخيرة إشغال السيد العابد حتى لا تتجه أنظاره إلى فزان وما يقوم به الضابط الثالث .

٣٥ — ولم يكد الضابطان يغادرا واو الكبير متجهين جنوباً حتى وصلت الأنباء بالحركة التي قام بها ثائب في مرزوق ولذلك وجه السيد العابد قوة من رجاله تحت قيادة صهره السيد الماشب زحفت على مرزوق وأجلت الأتراك عنها واستعملت كل وسائل العنف والتشريد مع الأهالي . ثم اتجهت شمالا إلى الأبيض حيث التقت مع القوة التي جمعها الضباط العثمانيين وهناك دارت معركة فاصلة انتهت بهزيمة السيد العابد وأسر صهره الماشب الذي حوكم على النهب والقتل الذي ارتكب في مرزوق فأعدم شنقاً في سبها ولما وصلت هذه الأنباء إلى السيد العابد غادر واو الكبير منسحباً إلى الكفرة .

٣٦ — إن هؤلاء الضباط من أهل طرابلس الذين تلقوا تدريباً عسكرياً في مدارس الأتراك قاموا بعمل من أعظم الأعمال فهم فرادى كان اعتمادهم على الجنود الوطنيين الذين جندتهم الدولة العثمانية في السابق ثم على الجنود خدموا في الجيوش الإيطالية وأخيراً حينما توسد شأنهم عرفوا كيف يضمون الجنود الوطنيين من الغاربة والطوارق والسنغال إلى صفوفهم .

٣٧ — إن هذه الصفحة خطيرة وهي تكاد تنسينا بجاوب الدول الاستعمارية في أفريقية بأكملها إذا قدر لها أن تواجه في المستقبل رجالا من هذا النوع فيهم التصميم والإرادة ومواجهة الأخطار ومن هذا نفهم جيداً مركز فزان في القارة الأفريقية . لأن الذي يسيطر عليها بوسعه أن يملأ السودان والصحراء بالدعوة والدعاية التي يريدها . وبهز الاستعمار الأوروبي

وقد جاء في كتاب الكولونل لارشيه الذي أشرت إليه ذكر بعض عمليات ترتب عليها تسليم مراكز عسكرية فرنسية بعتادها في الحرب العالمية الأولى .

٣٨ — ويشير صاحب كتاب طرابلس Sahara Tripolitauo

أن الحكومة التي أنشئت بفزان استطاعت أن تربط مرزوق بخط تلغرافي مع مسراطة باستعمال زجاجات المياه المعدنية لحمل الإسلاك وذكر أنه لجأ إليهم وافق لأول مرة معاملة مدنية ورأى بعينه حركة القوافل والاتصال بين الشمال والجنوب وإلى رجالها يرجع الفضل في ترحيله إلى مسراطه حيث تم إلى معسكر الأسرى الإيطاليين فاتصل بالعالم لأول مرة وعرف أهله بوجوده حياً يرزق بعد أن كانوا قطعوا الأمل من حياته .

وقد بقيت فزان تدار بمعرفة هؤلاء مادامت حكومة مسراطه قائمة حتى أمضيت الهدنة ١٩١٨ فانسحب الألمان والأتراك ثم رأس الحكومة « رمضان الشتوى » ثم ساد فزان عهد من الفوضى نتيجة للنزاع الداخلي .

٣١ — وفي سنة ١٩٢١ جاء « فولبي » حاكما المستعمرة فاتجه إلى احتلال مسراطة ثم أقرت الحكومة الفاشستية سياسة القمع والفتح والتشريد فأخذت ١١ عاماً بين ١٩١٨ و ١٩٢٩ للوصول إلى فزان .

ومن دروس هذه الحقبة وتجاربها أخذت الدولة المستعمرة بمجرد استعادتها لهذه الأراضي تنفذ برنامجاً واسعاً لرصف الطرق ، وأنشأت حصونها على أحدث طراز منها Forte Elena الذي يعد أقوى الحصون الدائمة في المنطقة وهو في مدينة سبها . وسنرى في القسم التالي مشاكل إيطاليا وقوادها مع فزان وأهلها.

(يتبع) أحمد رمزي

من مؤلفات نقولا الحداد العلمية

	ص
عالم الذرة أو الطاقة الذرية	٣٠
هندسة الكون بحسب ناموس النسبية	٣٥
فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتن	١٠

تطلب هذه الكتب من دار الرسالة ومن المؤلف في ٢ ش البورصة الجديدة ومن بعض المكاتب خالصة أجرة البريد

عبد الله بن مسعود

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

« وعاء ملئ علماً »
عمر بن الخطاب

الرحمن علم القرآن :

تلك قريش في جبروتها متربصة بمن يجيب داعي الله ويشيد لمحمد بالرسالة . فما يلم به من آمن إلا في خفاء ، ولا يتلو أحد ما أنزل الله إلا همساً أو من وراء جدر . وإن قريشاً لتبالغ في الإيذاء وتمعن في العقاب ، يخشى أساتها من له قوم عديدون ، ويتوق أذاها من حرم الكثرة والأتباع ، فكيف بمن لا أهل له ولا عشيرة . وأولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تسللوا إلى حيث يجتمعون وبينهم فتى يوشك أن يبلغ الحلم ، ذلكم هو عبد الله بن مسعود . قال أصحاب الرسول : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟ قال ابن مسعود : أنا ذلكم الذي يجهر لهم فقالوا وهم يرون جسمه الذي تقتحمه العين لفتى ما له في مكة من ركن شديد : إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إذا أرادوه فقال : دعوني فإن الله سيمنعني .

وما راع قريشاً في أنديتها نحى ذلك اليوم إلا صوت يتردد في جوانب البيت ينبعث من عند مقام إبراهيم : « بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ... » واستقبل السورة يرتلها فتأملوا صاحب الصوت فإذا هو عبد الله ابن مسعود ، فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون : ما يقول ابن أم عبد ؟ فأجاب منهم مجيب : إنه يتلو ما جاء به محمد ، فاندفعوا إليه يضربون وجهه ، ولكنه ما يكف بل جعل يقرأ وهم يضربون حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثرت بوجهه ضربات القوم ولطماتهم ولعل أشدها كانت لطمة عدو الله أبي جهل . قال له أصحاب الرسول وقد رأوا حاله : هذا الذي خشينا عليك فقال : ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً قالوا : حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون

أنك غلام معلم :

كان أبوه مسعود وأمه أم عبد قد تركا قومهما هذيل الذين يسكنون جبل السراة قريباً من الطائف وأقاما بمكة حيث حالف مسعود عبد الله بن الحارث بن زهرة خال زوجه أم عبد والدة عبد الله بن مسعود ، ولما صار غلاماً يافعاً اشتغل برعي الغنم لعقبة ابن أبي معيط من سادات قريش ، وبينما هو قائم كعادته أقبل رسول الله ومعه أبو بكر فقال يا غلام هل معك من لبن ؟ قال : نعم ولكني مؤتمن ، فقال له ائتني بشاة لم تحمل ولم تلد ، فأتاه بواحدة فجعل الرسول يمسح ضرعها ويدعو الله حتى درت فأتاه أبو بكر بإناء فاحتلب فيه ثم قال لأبي بكر : اشرب فشرب أبو بكر ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم بعده ، ثم قال للضرع : اقلص فقلص فعاد كما كان . هذا وعبد الله يشهد ويسمع فقال : يا رسول الله علمني من هذا الكلام فمسح رأسه وقال : إنك غلام معلم .

لقد أسلم عبد الله فكان من السابقين وترك غنم عقبة فأخذه الرسول وجعله في رعايته ، فلقد كان أبوه حليف أخوال الرسول وإن جدته لتمت بصلة القرابة إلى أخوال الرسول ، وعقبة من رءوس الشرك ولن يبقى عليه بعد أن أصبح من أتباع محمد فكان يخدم رسول الله : يلبسه نعله ، ويمشي معه وأمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام . حدث أبو موسى الأشعري قال : لقد قدمت أنا وأخي من اليمن ، وما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي عليه الصلاة والسلام . وتمر الأيام ويشتد أذى قريش للمسلمين فيهاجر جماعة منهم إلى الحبشة وفيهم عبد الله ثم يهاجرون إلى المدينة ومعهم عبد الله .

هذه رأس أبي جهل :

نحن في العام الثاني من هجرة الرسول في غزوة بدر الكبرى وهذا أبو جهل ملقى بين الجرحى وقد أمر الرسول أن يلتمس في القتلى فوجده عبد الله بن مسعود بآخر رمق فوضع رجله على عنقه قال أبو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً أخبرني لمن الدائرة فقال لله ولرسوله وإن فاتك ، قال أما إن أشد شيء تخزيه اليوم قتلك إياي فقتله وحمل رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل ، فقال الرسول : أالله الذي لا إله غيره ؟ ورددها ثلاثاً ، قال نعم ، ثم ألقى رأسه بين يدي الرسول فحمد الله تعالى وسجد شكراً له .

لقد عاش عبد الله حياة الرسول مقرباً منه أثيراً عنده قال له مرة : اقرأ عليّ سورة النساء ، فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأ عبد الله حتى بلغ : « فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » ففاضت عيناه صلى الله عليه وسلم

وأمره مرة أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها فنظر أصحاب الرسول إلى حموشة ساقيه — أي دقتهما — فضحكوا ، فقال النبي : ما يضحككم ؟ لرجلا عبد الله في الميزان أثقل من أحد

في أيام الخلفاء :

كان عبد الله في حياة أبي بكر مع الجيوش التي سارت إلى الشام ، وكان موكلا بأمر الغنائم وشهد موقعة اليرموك ، ثم رجع إلى المدينة فكان مقرباً إلى عمر ، قال زيد بن وهب : إني لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود ، يكاد الجلوس يواريه من قصره ، فضحك عمر حين رآه فجعل يكلم عمر ويضاحكه وهو قائم ثم ولى فأتبعه عمر بصره حتى توارى ، فقال : « وعاء ملئ علماً » ولما أنشأت الكوفة ، كتب عمر بن الخطاب إلى أهلها : « إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي »

ظل عبد الله بالكوفة حياة عمر ، وزمناً من أيام عثمان ، فلما كادت فتنة القراءات تقع بين المسلمين ، كلف عثمان جماعة من الصحابة وعلى رأسهم زيد بن ثابت أن ينسخوا الصحف التي جمع أيام أبي بكر ، وأرسل عثمان إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق ما نسخ بعد أن أبقى مصحفاً بالمدينة سمي المصحف الإمام و بعث زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي ، والمغيرة بن شهاب مع الشامي ، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي ، وعامر بن قيس مع البصري ، وأمر أن يحرق ما عدا هذه المصحف المصاحف إذ كان فيما عداها بعض الاختلاف اللفظي الذي كان مأذوناً فيه من قبل توسعة على المسلمين. حينئذ تأثر عبد الله بن مسعود لأنه كان يرى نفسه أولى من زيد بن ثابت بالإشراف على نسخ المصاحف ، ولعله كان يرى أن يستمر جواز ما كان مأذوناً فيه ؛ يضاف إلى هذا أن له مصحفاً فيه بعض الاختلاف ، ويتناوله الأمر بالإحراق ، هذا إلى أن كثيراً من التابعين من أهل الكوفة تلقوا عنه فقال : لقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم ولو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته . وقال : لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة — وفي رواية سبعاً وسبعين — وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان » لكن خشية الفتنة التي أطلت برأسها وخوف أن يدخل في القرآن ما ليس منه والحرص على وحدة المسلمين جعل سيدنا عثمان ومن حوله من كبار الصحابة لا يعبئون بأي اعتراض ، ولقد سبق أن كلف أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن في مصحف واحد مما كان مكتوباً ، وشهد شاهدان أن هذا المكتوب هو عين ما سمعه كاتبه من فم الرسول فلم يبد عبد الله بن مسعود اعتراضاً لأن ذلك كان جمعاً للقرآن خوفاً عليه من الضياع بوفاة حفاظه ، ولم يأمر أبو بكر بالاقتصار على ما جمع وحرق ما عداه مما كتبه آخرون أو حفظوه ، أما سيدنا عثمان فقد ألزم الناس — وهو محق — بالاقتصار عليه وعبد الله يعلم أن جامعه هو زيد بن ثابت ويرى أنه أولى منه لسبقه في الإسلام ويعلم أن الرسول انتقل إلى الرفيق الأعلى والصحابة يقرأ كل منهم كما علم لهذا كان منه ماقال. قال ابن شهاب الزهري : بلغني أن رجالا من أفاضل الصحابة كرهوا مقالة عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري : والعذر لعثمان في ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفاً واحداً ، وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت لكونه كان كاتب الوحي فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره »

ولقد بلغ سيدنا عثمان ما قاله عبد الله ، فأرسل إليه يأمره

بالقدوم عليه بالمدينة ولعله خشي أن يظل في العراق يلقن مصحفه الذي يدخل تحت إباحة « أنزل القرآن على سبعة أحرف ... » فاجتمع الناس على عبد الله بالكوفة فقالوا : أتم ونحن نحملك أن يصل إليك شيء تكرهه فقال عبد الله : إن له عليّ حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من يفتح باب الفتنة » وتوجه إلى المدينة واستثنى عما كان مفروضاً له بن العطاء .

دخل عليه مرة عثمان يعوده في مرضه فقال له ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه . قال : يكون لبناتك . قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة . إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً » فلما توفي رضي عنه سنة ٣٢ هـ دفع عثمان مجموع ما كان مفروضاً له وامتنع عنه إلى ورثته . وقال أبو الدرداء حينما بلغه موت عبد الله : ما ترك بعده مثله

عدد مصحفه وبعض قراءاته :

أجمع الأئمة على أن ترتيب الآيات توقيفي فقد كان يأمر الرسول جاء به جبريل من الله العزيز الحكيم أما ترتيب السور فالصحيح أنه ليس توقيفياً ، ولهذا اختلفت مصاحف الصحابة في ترتيبها فمصحف عليّ كان مرتباً حسب نزول السور يبدأ بالمكي ثم المدني واكتفى بذكر ترتيب السور العشر الأولى من كل مصحف ، ولمن شاء المزيد أن يرجع إلى الإتقان وكتاب المصاحف .

المصحف المشهور ومصحف أبي ومصحف ابن مسعود مصحف علي

١ — أم الكتاب	أم الكتاب	البقرة	اقرأ
٢ — البقرة	البقرة	النساء	ن
٣ — آل عمران	النساء	آل عمران	المزمل
٤ — النساء	آل عمران	الأعراف	المدثر
٥ — المائدة	الأنعام	الأنعام	الذهب
٦ — الأنعام	الأعراف	المائدة	والشمس
٧ — الأعراف	المائدة	يونس	الأعلى
٨ — الأنفال	يونس	براءة	والليل
٩ — براءة	الأنفال	النحل	والفجر
١٠ — يونس	براءة	هود	والضحى

وهذه مقارنة بين بعض ما روي من قراءة عبد الله والقراءات الصحيحة السند المشهورة :

القراءة الصحيحة السند	ما روي من قراءة ابن السمود
١ — اهدنا الصراط المستقيم	ارشدنا الصراط المستقيم
٢ — صراط الذين أنعمت عليهم	صراط من أنعمت عليهم
٣ — فأزلهما الشيطان عنها	فوسوس لهما الشيطان عنها
٤ — إن البقر تشابه علينا	إن البقر متشابه علينا
٥ — وإثمهما أكبر من نفعهما	وإثمهما أكثر من نفعهما
٦ — إنما وليكم الله ورسوله	إنما مولاكم الله ورسوله
٧ — والتردية والنطيحة	والتردية والمتوحشة
٨ — لا يظلم مثقال ذرة	لا يظلم مثقال نملة
٩ — إن كانت إلا صيحة	إن كانت إلا زقية
١٠ — كالعهن المنفوش	كالصوف المنفوش

تدوينه وأثره :

لعبد الله بن مسعود أثر في قراء الكوفة سواء كانوا من السبعة أم من العشرة ، أم من الأربعة عشر فقد تلقى عنه عاصم ابن ضمرة والحارث بن عبد الله وزر بن حبيش وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو عمرو سعد الشيباني وعبيدة بن عمرو والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وزيد بن وهب وعلقمة بن قيس وعبيد ابن نضلة وأبو الأسود الدؤلي . وإلى هؤلاء — الذين انفرد بعضهم بالأخذ عنه ، وبعضهم جمع إليه الأخذ عن غيره من الصحابة والتابعين — تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي من السبعة وخلف من العشرة والأعمش من الأربعة عشر هذا إلى جانب ما تلقوه من رواة آخرين من صحابة مختلفين .

لكن هؤلاء الذين رووا لنا قراءة (١) ابن مسعود وغيره اقتصروا على ما وافق الرسم العثماني وتركوا ما خالف ذلك تبعاً لأمر الخليفة واتباعاً لإجماع المسلمين فأصبح ما يروى مخالفاً للرسم العثماني من قراءته وقراءة غيره كأبي بن كعب وعلي وسعد بن أبي

(١) يمثل قراءة ابن مسعود الصحيحة للواقفة الرسم العثماني رواية أبي بكر شعبة عن عاصم أحد القراء السبعة حيث قال عاصم لحفص : ما أقرأكه هو ما تلقيته عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي وما أقرأته لحمزة هو ما تلقيته من زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود .

هوذا على بدء :

من الأعماق

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

كتبت في العدد ٨١٩ من « الرسالة » الغراء قصة « من الأعماق » ، وتركتها — كما هي في الحياة — بدون خاتمة ، وانتظرت رأي عقل القارئ العزيز لعله يتير السبيل لقلبين ، فانثالت عليَّ الرسائل من كل ناحية ، فاجتمع لي منها آراء أعرض بعضها على صفحات « الرسالة » . وأنا — إذ أفعل — أدير الكلام على طريقتي وأسلوبي ، لي الأسلوب والأداء ، ولأصحاب الرسائل الرأي والفكرة :

جاء في رسالة الأديب عيسى الأشعري بأسيوط — بعد كلام طويل — ما يأتي :

سيدي — يا حضرة الضابط الفاضل — أنت تؤمن بأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز في المعركة أو الموت . فدعني أجثو أمامك في خشوع وأنحني لك في احترام ، أنشق عبير روحك الوثابة ، وأقبّل ثرى وطئته قدمك الطاهرة ، وأستمتع ساعة باستجلاء طلعتك الصارمة ، أحيي فيك الشجاعة والشهامة والرجولة . وحين رجعت إلى أرض الوطن الغالي — عائداً من الميدان — رأيتك يا قلب مصر النابض ، وأملها البسام ، وعلمها الخفّاق ، فخفق لك قلبي واهتزت مشاعري ، لأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز في المعركة أو الموت . آه لو استطعتُ فاقتحمت هذا الجمع الزاخر وهو يفور ويضطرب لألقي بين يديك أنقى لك نبضات قلبي ووثبات فؤادي وسلوات روحي !

تلك هديتي إليك ، فقلبي قد تفتح عن تقدير لك وإجلال ، وفؤادي قد انتشى بعطر إيمانك الزكي ، وروحي قد هفت نحو زهرات شبابك النضير التالق . فأنت بعثت فينا — من أعماء الزمن — روح العزة والكبرياء .

لقد قلت لي — إذ ذاك — : « إنني أنا القنبلة التي يقذف بها عاهل البلاد العظيم في وجه العدو فتنفجر هدّامة مدمرة ، وأنا الدفع بطلقه القائد الأعلى على صفوف الطغاة فلا يخطئ ولا يخيب ، وأنا السيل العرم الذي يتدفق فيجرف في تياره الجناة وإن عتوا وتجبروا » .

هذه الشجاعة ، وهذه العقيدة ، وهذا الإيمان ، كل أولئك — يا سيدي — أشرقت نوراً يتلألأ على جبين الوطن فينعكس على صفحات التاريخ فخراً تنحني له هامة الزمن ، وتخضع أعناق الجبابرة ...

وحين سلت سيفك زها وأشرق تاريخ الوطن ، وثارت حميته ، وتأججت كبرياؤه ، وتألقت فيه روح الحرية . وحين لذعت في الميدان بالحديد والنار ، ارتد العدو على أدباره خاسرين ، وانهزموا أمام عزمك صاغرين . وفزع كل ذي طمع ، وذهر كل ذي مأرب . وحين أصررت وتقدمت في شجاعة ، وصبرت في إيمان — حينذاك — انطوى العالم بين جناحيك في ذلة

وقاص وابن عباس وغيرهم يستدل به في التفسير ويستعان به في التشريع ولا يعول عليه في الصلاة والعبادات مع العلم أن هؤلاء السابقين وغيرهم وافقوا عثمان وأقروه ولزموا ما وافق رسم المصحف الإمام والواقع أن ما يروى عنهم مخالفاً له لا تتفق في ضبطه الروايات ما ذلك إلا لعجز الأئمة الثقات تحمل روايته وتكلف حفظه والعناية بتحقيقه فأصبح سنده منقطعاً . وشرط صحة التعبد بالقرآن أن يكون صحيح السند إلى جانب ما اشترطوه من موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وموافقة العربية ولو بوجه من الوجوه ، أما اختلاف القراءات السبع وغيرها من القراءات الصحيحة فيرجع السبب فيها إلى أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف التي أمر بنسخها سيدنا عثمان كان بها من الصحابة من خفي عنه أهل تلك الجهة ، فلما أمر بحرق ما عدا تلك المصاحف وأن يسيروا على رسم واحد ثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة بشرط موافقة الرسم العثماني ولو احتمالا وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن ؛ فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم متمسكين برسم وخط واحد .

عبد الستار أحمد فراج

المدرس بالمعهد الديني

رمضان ، وصمتت ألسن كانت لولاك سليطة بالباطل ، جريئة على الحق . فدعني — يا سيدي — أجثو أمامك في خشوع ، وأنحني لك في احترام ، لأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز في المعركة أو الموت !

هذا أنت — ياسيدي — في نفسي ، أما هذه المعركة القلبية ، فأنت إن ظفرت بها خسرت هدوء قلبك وراحة نفسك . غداً يجذبك عملك الشريف عن دارك فتفر زوجك وحدها ، فتذهب وما في خيالك سوى خاطرة واحدة ، فأنت ما تبرح ترى بعين قلبك شبحاً يضطرب حول دارك يوشك أن يلجها في غيبتك . سيثور بك الشك ، وتلتهمك الريبة ، وتصفعك النيرة ، فتعيش في حيرة قاتلة تصرفك عن الواجب المقدس . فدع الفتاة تنطلق إلى فتاها ، وفي الأرض مراغم كثير وسعة .

ستقول : هذه فتاة عاقلة متعلمة تقضي حق الزوج وترعى واجبها ، وهي من بيت راسخ الأرومة طيب الجرثومة ، يتدفق في عروقه دم الشرف والإباء والكرم منذ الجد الأول . ولكن هل لها غير قلب المرأة وعاطفة الأنثى وروح الإنسان ؟ ستخلو حيناً إلى نفسها تحدثها حديثاً طويلا لو اطلعت عليه لوجدت من الفزع والرعب في نفسك ... فدع الفتاة تنطلق إلى فتاها ...

وإنا انكشفت القصة كلها أمام الأب فرأى تنازع قلب ابنته سافرة واضحة ، فإن تجاربه ستدفعه حتماً إلى أن يتلمس لها السعادة التي تريد ، وسيضن بها أن تقضي عمرها في مضطرب من الأفكار يعصف بها اليأس ويقصمها الأسى !

***

وفي رسالة الأستاذ محمد أحمد شكم المدرس بمدرسة سعيد الأول بإسكندرية رأي يشبه رأي الأديب الأشمري .

***

وإن في رأي صديق الأستاذ عباس خضر المنشور في العدد ٨٢٠ من « الرسالة » حلا سيكولوجياً عجيباً ، فهو يرى « أن يتعمد عادل قليلا ويترك المعركة تدور بين كرامة جلال — ولا بد أن يستشعرها مع الزمن والتكرار — وبين فتور إلمام وإعراضها عنه ، ويبعث عادل بالمدد إلى قلبها من بعيد ، ومتى الأم سوء حال ابنتها فتشفق عليها وتتحول إلى جانب عادل فتكون عاملا مهماً في إنهاء الموقف ، بحيث يرى الضابط ضرورة فوز كرامته في المعركة بالانسحاب ... »

***

هذا رأي العاطفة والقلب ، أما أصحاب الرأي الثاني ، ورأي العقل والمنطق ، فمن مقدمتهم الأديبة الآنسة سلوى الحوماني ، في رسالتها يتحدث عقل المرأة وقلبها في وقت معاً ، فكلامها ثائر هادئ ، يطعن في هوادة ويصفع في رفق ، وهي قد استهلت رسالتها بقولها : وإني أشكر كاتب قصة « من الأعماق » ، لأنه أتاح لي فرصة أخوض فيها غمار هذا الموضوع وهو من صميم الحياة . إن الفتاة لتجد حرجاً كبيراً في أن تتحدث — علانية وفي صراحة — في مثل هذا الموضوع ، لأنها تشعر في قرارها بالرجعية العقلية تدفعها عن هذا المضمار ؛ وهي حين تتنحى عن إبداء الرأي ترتكب خطأين : الأول ، أنها تذر الموضوع يفقد نصف الحياة حين يفقد نصف الرأي . والثاني ، أنها تفر من ميدان الحياة وهو ميدانها .

ثم تتدفق بعد ذلك تقول : ... ويجب أن ينسحب عادل من هذا الميدان ، فهو يغالط نفسه حين يزعم أنه يحب الفتاة حب قلب وعاطفة وتضحية ، وهو لو صدق لما انقطع عن زيارتها سنة كاملة ، لأن « أباها نهاها من أن تدخل حجرة فيها الأستاذ عادل ، إلا أن يؤذن لها » .

هذا — ولا ريب — سبب تافه ضئيل لا يستطيع أن ينهض عذراً لمن يحب فينطوي سنة كاملة من سَنَ أحب . لقد أراد أن يثأر لكرامة خدشت — كزعمه — فهل عجز من أن يلقى فتاته خفية وفي مأمن من الرقيب ، أو قعد عن أن يرسل إليها رسولا يحدثها حديث قلبه وينشر عليها ذات نفسه ، وهو رجل ذو حيلة ورأي ؟ لقد كان يستطيع أن يفعل لو أراد ، فإذا ضاقت به الحيلة أو غابه الرأي ، انطلق إلى أبيها في غير وناء ولا تريث يكشف أمامه رغبة قلبه وأمل حياته ، أو طار إلى أبيه هو يخبره الخبر كله ، ولكنه لم يفعل شيئاً ، بل وقف على حيد الطريق ينظر إلى الركب وهو يسير ، ثم يزعم — بعد ذلك — أنه يحب فتاته حب

من هذا . فقال : أما ما أشرت عليك به في الأول فلأني أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت ، وأن يكون من يرد في الأعصار وبطراً من الأمم في الأزمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول إن أمة قهرت أمة هذا بنيانها لأمة عظيمة شديدة منيعة . وأما جوابي الثاني فأردت به نفي العجز عن أمة الإسلام كي لا يقول من يأتي في الأعصار الآتية إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنت فارس ... فلما بلغ الرشيد ذلك قال : قاتله الله فما سمعته قال شيئاً قط إلا صدق فيه ثم أعرض عن هدم الإيوان(١)

أما الآن ، فلم يبق من ذلك البناء الشامخ إلا طاقه وجناحاه . وقد ورد أن هذا الإيوان من أعظم أبنية العالم ، وهو مبني بالآجر على مرتفع من الأرض طوله (١٥٠) ذراعاً ، في عرض مثلها ، وأمامه ميدان طوله (٨٠) ذراعا في عرض (٢٥) . وقيل سعة الإيوان من ركنه إلى ركنه (٩٠) ذراعا وارتفاعه (٨٠) ذراعا . وقد تهدم هذا الإيوان ولم يبق منه في القرن السابع الهجري على ما ذكر ياقوت إلا طاق يعرف بطاق كسرى ، وهو طاق عظيم بني بالآجر مثل كل آجر نحو ذراع في عرض أقل من شبر . وكان فيه من التماثيل والصور شيء كثير : منها صورة كسرى أنوشروان وقيصر ملك أنطاكيه وهو يحاصرها ويحاربه أهلها (٢) .

وأما المدائن فقد أصبحت شبه قرية في الجانب الغربي من دجلة أهلها فلاحون ، شيعة إمامية . ومن عاداتهم أن نساءهم لا يخرجن نهاراً أصلا(٣) . وفي الجانب الشرقي منها مشهد الصحابي المعروف سلمان الفارسي رضوان الله عليه ، وله موسم يذهب الناس إليه لزيارته والتبرك به ويكون ذلك في منتصف شعبان من كل سنة . وكان على مقربة من الإيوان قبران محترمان يرقد فيهما الصحابيان : عبد الله الأنصاري ، وحذيفة ابن اليمان فأشرفا على الغرق لأن مياه دجلة كانت — ولا تزال —

(١) مروج الذهب للمسعودي
(٢) دائرة المعارف البستاني
(٣) تلخيص الآثار في عجائب الأقطار

نقل من الشاطئ ، فنقلت الحكومة بقايا رفاتهما إلى جامع سلمان الفارسي في عام ١٣٥٠ هـ بعربان عسكري نظم(١) .

وقد شاهدت الإيوان منذ سنة تقريباً فرأيته لم يبق من عظمته غير الطاق المرتفع الذي يطاول السحاب بعلوه . أما ما وصفه «البحتري» من تلك الصور المنقوشة على الإيوان كصورة كسرى وجنوده وقواده وهم يتقدمون إلى جيوش أعدائهم الرومان . وصورته والجارية الحسناء تقدم إليه كأس الشراب وقد احدقت به المغنيات والراقصات . كل تلكم الصور وأمثالها لا وجود لها الآن في الإيوان فقد انطمست أعلامها وامحت آثارها . والفرق واضح بين ما كان عليه الإيوان في عصر الدولة العباسية وبينه في عصرنا الحاضر .

وكان من ولع شعراء العرب بوصف ما يرونه من آثار الطبيعة وما فيها من جمال وسحر ، أو تجهم وعبوس ، أن تطرقوا إلى عظمة هذا الإيوان ، وذلك حين كانوا يقفون على أطلال المدائن الخاوية فيتصورون أن أهلها أحياء يسيرون في الأزقة والشوارع بدعة والحمئنان وأن الملوك في وسط قصورهم مع بلاطهم وحاشيتهم وما عليهم من ثياب مزركشة وحلل زاهية فتستفز هذه الأخيلة قريحة أولئك الشعراء وتحرك هذه المناظر قيثارتهم الشعرية ، فيروحون ينشدون قصائدهم التي تفيض بعواطفهم المكبوتة إزاء ذلك الملك الذاهب فيأتون بالشعر والسحر الحلال . وكان من بين الذين شاهدوا عظمة الإيوان وما فيه الشاعر الأرجاني الذي رأى التماثيل الموجودة في الإيوان فنظم قصيدته الرائعة التي لم تدعه إلى نظمها عصبية للفرس — كما يدعي البعض — وإنما كان استجابة لطبع الشاعر وتلبية لسجيته المطلقة التي دعته إلى وصف بعض الصور الجميلة التي شاهدها . وكان من هذه القصيدة قوله :

رأيت عجيباً والزمان عجيب ... رجالا ولكن ما لهن قلوب
تماثيل في صخر نحتن كأنها ... بدو زمن لم يلف فيه أريب
نزلنا وفوداً في حماها ولم يكن ... لنا من قراها في الوفود نصيب
فنحن لدى كسرى إبرويز غدية ... نزول ولكن الفناء جديب

(١) الرأي قديماً وحديثاً للسيد عبد الرازق الحسني

بظاهر قرميسين والركب محدق حواليه فيهم جيئة وذهوب
لدى ملك من آل ساسان ماجد وتور عليه التاج وهو مهيب
مكان المناجى من خليليه واقفاً وإن عز منهم سامع ومجيب
يريك من تحت الحوادث أوجهاً
بها من تصاريف الزمان شحوب
وقاموا على الأقـــدام لا بمقرهم
مدى الدهر من طول القيام لغوب

وقصيدة شاعر الدولة العباسية أبو عبادة البحترى التى وصف بها الإيوان فكانت آية من آيات التصوير الشعرى بعد أن سارت مسير المثل لما فيها من وصف بديع دقيق بعد أن ذكر جميع ما رأى من النقوش والتماثيل التى ارتسمت على جدران الإيوان وما أحيط به من العظمة والجلال . . . وها هو يقول فى أولها يمتدح نفسه :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدى كل جبس
وتماسكت حين زعزعنى الد هر التماساً منه لنفسى ونكسى

إلى أن يقول فى وصف الإيوان مشيراً إلى ما فيه من زخرف وتصاوير :

لو تراه علمت أن الليالى جعلت منه مأتماً بعد عرس
فإذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتمت بين روم وفرس
والمنـــايا مواثـــل وأنوشر
وان يزجى الصفوف تحت الدرفس
وهمراك الرجال بين يديه فى خفوت منه وإغماض جرس
وكأن الإيوان من عجب الصنـ ـعة جوب فى جنب أرعن جلس
مشمخر تعـــلو له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى وقدس
ليس يدرى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس
غير أنى أراه يشهد أن لم يك بانيه فى الملوك بنكس

وقال ابن الحاجب فى وصف الإيوان ويخاطب بانيه ويذكره بتقلب الدهر وعثرات الزمن :

يا من بناء بشاهق البنيان أنسيت صنع الدهر بالإيوان[1]
كتب الليالى فى ذراها أسطراً يبد البلى وأنامل الحدثان
إن الحوادث والخطوب إذا سطت أودت بكل موثق الأركان

ولشاعر قريش السيد الشريف الرضى يفتخر بالإسلام وقوته على الفرس وذلك فى ذى الحجة ٣٩٧ هـ وقد اجتاز بالمدائن ونظر الإيوان فبهره منظره وأنشد فى ذلك :

قربوهن ليبدلن الخارا وبيدلن بدار الهـــون دارا

إلى أن يقول :

قد تركنا دار كسرى بعده أربعاً ما كن للذل خوارا
وإذا لم تدر ما قوم مضوا فسل الآثار واستنبء الديارا
آل ساسان حدا الخطب بهم واسترد الدهر منهم ما أعارا
كل ملموم القرى صعب الذرى يزلق العقبان منه والنسارا
جمجموا الإيوان فى مبركه مبرك البازل قد فض السفارا
مطرقاً إطراق مأمون الشذا غير النادى حلماً ووقارا
أو مليك وقع الدهر به فأماط الطوق عنه والسوارا

ويحكى أن الملك جلال الدولة البويهى اجتاز بالإيوان فكتب عليه[1] .

يا أيها المغرور بالدنيا اعتبر بديار كسرى فهى معتبر الورى
فنيت زماناً بالملوك وأصبحت من بعد عادتة الزمان كما ترى

وروى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) مر على المدائن عند ذهابه إلى حرب الخوارج فى النهروان ... فلما رأى آثار كسرى وقرب خراجها قال رجل ممن معه :

جرت الرياح على رسوم ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
وإذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاد

فقال على : أفلا قلتم كما قال الله عز وجل : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منتظرين »[2] .

وكان ممن زار المدائن وشاهد القصر الأبيض — الإيوان — الأمامان الحسن والحسين ابنا على بن أبى طالب (ع) وذلك حين قتل أبوهما وقد توجها إلى المدائن فلحقها الناس بساباط فحمل على الحسن رجل من أهل الكوفة فطعنه فى فخذه ، وسبقهم الإمام

(١) معجم البلدان للحموى .

(١) الكنى والألقاب (٢) تاريخ بغداد

حتى دخل قصر المدائن فأقام فيه نحواً من أربعين ليلة ثم توجه إلى معاوية بن أبي سفيان وصالحه

ومن العلماء الذين وقفوا على أطلال الإيوان علم الهدى السيد المرتضى الذي استثارت الناظر قريحته وطفق ينشد من قصيدة معروفة منها :

يا زميلي أنخ بشرق سابا ... ط مناخاً على الركائب وحطا
فقرأنا الإيوان إيوان كسرى ... فرأينا كالطود طولا وعرضا
وترى البين منه أبهة الملك ... وعيشاً لأهله كان خفضا
حيث كانت ضلوع من ولج الأ ... يوان ينقضن بالمخافة نقضا

ولعل أحسن من وصف الإيوان من المعاصرين شاعر النجف السيد محمود الحبوبي في قصيدته العامرة «وقفة على طاق كسرى» يقول في أولها :

قفا واسألا أخوية الزمن الكبرى ... عن الأعصر الأولى وعن ربه كسرى
لقد شاهد الأجيال والدهر يافع ... وشاهدها والدهر محدودب ظهرا
وصرا على آثارها بعض ساعة ... بها تريان الفرس والأمم الأخرى
هنا كان كسرى أم هنا لست دارياً ... سلا هذه الجدران فهي به أدرى

وأنشد في الإيوان أيضاً الشاعر النجفي الشيخ عبد المنعم الفرطوسي قصيدة عامرة أولها :

قف بالمدائن واستنطق بها الصورا ... من ألف جيل وجيل فوقها عبرا
واستعرض الدهر أشكالا متنوعة ... فيها لتعرف من أحوالها صورا
واستخبر الرسم عنها حين تقرؤه ... فسوف يملي عليك عن تاريخها خبرا
والعين إن تلك قد فاتتك رؤيتها ... فلا يفوتك منها أن ترى الأثرا

ويقول فيها مخاطباً الإيوان :

أنشودة أنت للأجيال خالدة ... تلك أنحى فم الدنيا لها وترا
وآية طأطأ الدهر الخطير لها ... لما تسامت على علياته خطرا
وفكرة في دماغ الفن زاولها ... قرناً فقرناً أبيديها فما اقتدرا
حتى إذا نضجت أفكاره ولدت ... نتيجة ترهب الأجيال والعصرا

(النجف — العراق) فاضل المظفر

في تكريم أبطال الفلوجة

للأستاذ الموضح الوكيل

دارت رحاها ، واستمر سعيرها ... وطغت زمازمها ، وعج قتيرها
حميت على الأسد الضراب دروعها ... فالماح في لجج الفضاء زئيرها
من كل أروع تطّلبه شهوة ... للنصر ... يلفح جانبيه سعيرها
يمضي إلى غاياته ، وكأنه ... قدر يبيد خصومه ، ويبيرها
في كفه كأس المنون روية ... وعلى العدا الباغين راح يديرها
هل في سوارمه ، وفي آماله ... إلا أماثيل يرام نشورها
أخت تضام فكيف يتكل دونها ... إن لم يجرها فالقناء عجيرها
وشقيقة أخت عليها عصبة ... أمصارها أسلابهم وثغورها
هتفت ألا أين النصير ، فإن بنم ... عنها . فأين على الزمان عجيرها ؟
يمضي لها شاكي السلاح مقذف ... خفاق ألوية العلا ، منشورها

أرأيت للأبطال في « فلوجة » ... قصصاً تألق في العيون سطورها
إن أعطشت دنيا الكفاح ، تألقت ... فأضاء آفاق الكفاءة نورها
فصل من التاريخ ترنو نحوه ... حقب الزمان وتشرئب عصورها
حرب التزائم تلك . خاب مجولها ... وتطاحن الأرواح ، فازصبورها

وجزيرة في البيد تصخب حولها الـ ... لجج الهوادر ما يخف هديرها
إن يندفع موج إلى شطآنها الثـ ... ـاني ردته هناك صخورها
ما كان من صور هناك فإنما ... جلد الرجال على المكاره سورها
السكر المخمور في أوباشها ... جن تثور فلا يطاق ثؤورها
حلفت بمصر فصدقت أيمانها ... مهج يفيض على الرمال طهورها
ما راعها قصف الحديد وفتكه ... كلا ، ولا نار يفور زفيرها
راح الكفيف بها يسدد رميه ... فيصيب أبعد ما يصيب بصيرها
يد خالق الأكوان ترمي دونه ... فيقيم من تقديره تقديرها
وإذا التقى الإيمان في قلب امرئ ... بالعزم أيسر في الحياة عسيرها

أبطال مصر هتفت لكم أنسامها ... وشدت بكم فوق الغصون طيورها
في كل منعطف ، وكل ثنية ... دنيا يفيض حبورها وسرورها
في حيث سرتم يغتدي ريحانها ... بسطاً . وتنتظم الطريق زهورها
حتى السماء . رمت عليكم طلها ... بشراً . وودّ على الخشوع مطيرها
وتلفت الملك الهمام لجيشه ... في نظرة لا يختفي تفسيرها

عاش المليك لمصر ، قائد نهضة ... سارت ، وفي نعماه كان مسيرها

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

توفيق الحكيم في كتاب عن الأدب المعاصر :

سيدى الأستاذ

قرأت لك كل ما سطره قلمك منذ أن تناولت قلمك لتكتب . تابعت فصولك النقدية فى « العالم العربى » ثم تتبعت بعد ذلك مقالاتك وتعقيباتك فى « الرسالة » ، وكما تبدى رأيك فى الغير فلا بأس من أبدى رأيى فيك . إن ملكاتك الناقدة هى خير ملكاتك جميعاً ، بل هى خير ملكة إذا ما وضعت ملكات النقاد المعاصرين فى الميزان ! ... بالله لا تتعرض لهذه الكلمات بالحذف إذا ما نشرت هذه الرسالة وعثرت عليها ، إنها رأى حر يبديه فيك إنسان قرأ أكثر ما أخرجته المطبعة فى الشرق والغرب من دراسات نقدية ، إنسان يزن أقدار الناس ويؤمن بما يقول ... ولولا إيمانه برأيه لما لجأ إليك يسألك بعض العون فى فصل من فصول كتاب يضعه منذ شهور من الأدباء المعاصرين !

إننى أعرف أنك صديق لهذا القصاص البيقرى توفيق الحكيم وليس من شك فى أنك قد درست شخصيته الفنية من خلال كتبه دراسة ناقد ، ودرست شخصيته الإنسانية من خلال معرفته دراسة صديق ، أعنى أنك تستطيع أن تربط بين الشخصيتين لترسم لنا صورة دقيقة لهذه الشخصية المزدوجة التى تبدو لعينى مبهمة ولفكرى معقدة ... !

إن شخصية توفيق الحكيم هى الشخصية الوحيدة التى أقف منها دائماً موقف الشك وعدم الثقة من ناحية وزنها والحكم عليها ، حتى هؤلاء الذين اتصلت بهم من معارفه ليحدثونى من طبيعته النفسية كما هى فى واقع الحياة والفن ، لم يستطيعوا للأسف أن يمدونى برأى فاصل أطمئن إليه ، يبدو أنه مبهم حتى على الذين يعرفونه ويتصلون به ... لست أدرى إن كنت سأجد عند قلمك مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة ! إننى أرجو إذا تحققت هذه الأمنية ألا تسبب لك هذه الرسالة بعض الحرج إذا ما كشفت من أشياء قد لا ترضى صديقك ... مهما يكن من شىء فلا تنس أنك تؤرخ للأدب ، وأن النكوص من ذكر الحقائق فى سبيل إرضاء الصداقة من شأنه أن يجرح التاريخ الأدبى والضمير الأدبى ، وهذا هو الاعتراف الذى أنزه قلمك عن الوقوع فيه !

إنك تعلم ولا شك أن النقد الأدبى الحق هو ما قام على دراسة أدب الكاتب مرتبطاً بشخصيته ، لأن الأسلوب من الرجل كما يقول بوفون ، وكل دراسة لا يتحقق لها هذا الجانب تفقد عنصراً خطيراً يهدد قيمتها الفنية بالضياع ! ... على هذا الأساس أريد أن تكتب ، ولا أطلب منك صفحات فإن سطوراً تقدم لى مفتاح هذه الشخصية تكفينى . ولا أطلب منك تعليقات فحسبى أن تمدنى بالقاعدة العامة وعلىّ أنا أن ألتمس المثال !

وفى انتظار كلمتك الفاصلة ، أرجو أن تتقبل تحيات المقدر لفنك

محمد هارون الرصفاوى

قسم الدراسات العليا — جامعة فاروق

أشكر للأستاذ الفاضل هذا التقدير الذى يسبب لى كثيراً من الحرج ... لقد ظن أن الحرج سيتمثل فى تقدى لشخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية ، ولكن الحرج كل الحرج يتمثل فى هذه الكلمات التى تخصنى بثناء لا أستحقه ! يا صديقى ، آمل ألا يدفعك الإعجاب بكاتب إلى الغلو فى تقديره ، وبخاصة فى هذا الكتاب الذى ستخرجه فى القريب عن الأدب المعاصر وتقيم فيه الميزان لأقدار الأدباء ... إن رسالتك لتنبىء عن عقلية ناضجة حقاً وفهم أصيل لقيم الدراسة النقدية ، وفى هذا ما يطمئنى على أن كتابك سيكون له فى رحاب النقد الأدبى مكان !

إنه ليسعدنى أن أقدم إليك كل ما فى حدود الطاقة من عون .. سأقدم إليك رأيى فى فن الأستاذ الحكيم مرتبطاً بشخصيته ، وهو رأى أقمته على دراسة أعتقد أن عناصرها قد اكتملت على هدى ملتى به وقراءتى له . إننى أوافقك على أن هذه الشخصية تحتاج إلى كثير من التثبت قبل الإقدام على الكتابة عنها والحكم عليها ، لأنها من الشخصيات التى لا تتكشف لدارسيها إلا بعد تأمل وعناء !

أرجوا أن أضع بين يديك « مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة » فى العدد القادم إن شاء الله . وثق

أنبي سأحدثك عن توفيق الحكيم الصديق بما يرضي الحق وحده والفن وحده ، وللأستاذ الفاضل تحيتي خالصة .

لحظات أخرى مع جان كوكتو :

الكاتب الفرنسي مشغول .. مشغول بمقابلاته ، ومشغول بمسرحياته ، ومشغول بجولاته الفكرية وتهويماته الفنية ، ومعنى هذا أن زائره لن يظفر من لقائه إلا بالرأي الطائر والحديث العابر ، وهذان أمران يقنع بهما مندوب صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية لينقل إلى القراء لمحات خاطفة عن جان كوكتو ! ... أما أنا فقد حاولت أن ألقاه لقاء أديب يود أن يجلس إليه ساعات يسأله عن كل شيء ويتحدث معه في كل شيء : في أدب القصة ، في أدب المسرحية ، في الموسيقى ، في التصوير ، في النقد الأدبي ، في الشعر ، في كل تلك الفنون التي يشارك فيها جان كوكتو ويستطيع أن يتحدث عنها حديث خبير . حاولت أن ألقاه هذا اللقاء ولكنه اعتذر بضيق وقته وكثرة شواغله ، مما لا يتيح لزائره غير فترة يقضيها معه ويخرج منها بالرأي الطائر والحديث العابر ... وكما اعتذر إلي عن هذا اللقاء الطويل فقد اعتذرت إليه عن هذا اللقاء القصير ، بعد أن قدمت إليه تحيتي وتحية «الرسالة» وبعد أن تلقيت خالص شكره على التحيتين مع رجائه بتلبية رغبتي إذا تهيأت له فسحة من الوقت في مقبل الأيام !

لا بأس إذن من أن نقضي مع جان كوكتو لحظات من تلك اللحظات العابرة التي قضاها معه مندوب « المصور » وخرج منها بهذه الآراء العابرة التي تحمل بعض اللمحات والتوجيهات

سأله مندوب « المصور » : هل شاهدت مسرحيات مصرية ؟ ما هي ملاحظاتك عليها ؟ ألم توح إليك مصر بكتابة شيء عنها ؟ ما رأيكم في آثارنا ؟ وأجاب الكاتب الفرنسي بأنه لم يشاهد غير قصة سيمائية مصرية واحدة ، حفلت بالحشو والتعقيد وكأنها عشر قصص في قصة ! أما الإخراج فيميل بالمبالغات والحركات المفتعلة والانفعالات المتلاحقة المتباينة التي لا تفهم ... إن الفيلم المصري في رأي كوكتو لا يهدف إلى فكرة ، وإن المؤلف الحق هو من يهدف بقصصه إلى الغاية لفكرة ، وكلما بسط هذه الفكرة وأوضحها وفق ونجح في الوصول إلى هدفه ، واستطاع أن يخرج بعمله من نطاق المحلية في الفن إلى نطاق العالمية ! أما مصر فقد قال عنها كوكتو إنها أوحت إليه الكثير ... لقد انفرد بأبي الهول ساعات في النهار والليل ، وصادف من قلبه منزلة حسنة فباح له بسره ، أما هذا السر فسيحمله إلى المصريين كتاب يود كوكتو أن يفرغ منه في الشهور المقبلة ، كتاب يقبس أسلوبه السحر من وحي النخيل الياسق على ضفاف النيل ! بعد هذا يقول كوكتو إنه زار دار الآثار العربية ورأى فيها أشياء عظيمة رائعة ، ولكن طريقة عرضها خاطئة ... إنها مكدسة كما لو كانت في مخزن !

هذه الآراء الناضجة يبديها فنان ناضج ، يعنيه من رهافة الذوق وعمق الخبرة وطول المران ما يعينه على النظر الثاقب ، والحكم الصائب ، والتقدير الممتاز ... إن كل ما نطلبه من كتابنا القصصيين ، ومخرجينا السينمائيين ، والشرفين على صناعة الفيلم المصري ، هو أن يتدبروا هذه الكلمات لأن الذي ينطق بها هو جان كوكتو لا الأستاذ يوسف وهبي ! وما نطلبه من هؤلاء نطلبه من أولئك الذين يقومون بأمر دار الآثار العربية ، وحسبهم أن الذي يوجههم إلى الأصول الفنية في عرض تحفنا وآثارنا هو جان كوكتو أيضا لا الدكتور زكي محمد حسن !

أما الشيء الذي نطلبه من الكاتب الفرنسي فهو أن يكون صادقاً في إصغائه لكلمات أبي الهول ، أميناً في نقل حديثه ونجواه ... إن أبا الهول لا يمكن أن يتجنى على وطنه ، لأنه عاصر تاريخه ، وأشرف على حضارته ، وبارك منذ خمسة آلاف عام مجده الخالد ؛ إننا في انتظار كتاب جان كوكتو لننظر فيما إذا كان قد استمع لكلمات عدوه أم انقاد لنزوات هواه !

جولة في معرض الفن الإيطالي :

هذا المعرض الممتاز أقامته بسراي الخديو إسماعيل بشكنات قصر النيل جمعية محبي الفنون الجميلة بالقاهرة ، بالاشتراك مع متحف بينالي بمدينة البندقية بإيطاليا ... ولقد ساهم في إعداده كثير من المتاحف وقاعات البرض العامة بميلانو وفلورنسا والبندقية وبليرانس وتريستا ، وأصحاب المجموعات الخاصة ؛ أما المدارس الفنية التي يمثلها هذا العدد الكبير من اللوحات التصويرية الرائعة ، فموزعة بين النيوكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية والفانية والسريالية .

سأقدم إليك مما شاهدت بعض لوحات ممتازة إذ يضيق النطاق عن التحدث عن كثير ... اللوحة الأولى «أولاد الأمير والأميرة تروبتسكوي» للفنان الرومانتيكي اللمع دانيال رازوني .. سلمس

في هذه اللوحة عبقرية التلوين والتظليل ... إن رانزوني يتغلغل بظلاله وألوانه إلى آفاق واقتدر دوريللو وبوسان ، ولكنه يختلف عنهم في ظاهرة الميل بفنه إلى الأجواء القاتمة المحجبة ، تلك الأجواء التي تخضع لأثر البيئة في مزاج الفنان ... لقد كان رانزوني من أبناء مقاطعة يغلب فيها الضباب على الإشراق ، ومن هنا انعكس الجو الذي عاش فيه بحسه على الفن الذي عاش بروحه ، وما الفن كما قلت غير مرة إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور !

أما اللوحة الثانية فهي « الحصان الميت » لأبرع فناني إيطاليا في القرن التاسع عشر جيوفاني فاتوري ... إن فاتوري لا يمكن أن يسمو بظلاله وألوانه إلى مقدرة رانزوني ، ولكنه يبزه ويتفوق عليه في مجال الفن التعبيري . إن عبقرية هذا الفنان تتركز في ريشته التي تنقل إلى الورق أدق ما في الحياة من لمحات ؛ نظرة واحدة إلى لوحته الفريدة تنبئك بأن هذا الرجل الواجم الطرق الملتاع ، لا يملك من دنياه غير هذا الحصان الملقى تحت قدميه ... هنا وجه معبر تطلق الريشة من قسماته أعمق معاني اليأس والألم والدموع ! هل تعرف دي لاكروا في دقة تعبيره ؟ إن فاتوري يذكرك بهذا الفنان !

تعال بعد ذلك لنتأمل هذه اللوحة الثالثة « حنان الأم » .. إن مبدعها ترانكيلو كريمونا يمتاز بالجمع بين موهبتين : التلوين والتعبير . أما التلوين فطريقته فيه تختلف عن طريقة زملائه ، إن ألوانه على القرب متداخلة ، باهتة ، تمتزج فيها الأضواء بالظلال ولكنها على البعد شيء آخر ... إنها تبدو لعينيك متناسقة ، مشرقة ، متميزة ببراعة التصميم ! أما في مجال التعبير فإن هذه اللوحة تذكرك بلوحة أخرى لرفائيل هي « العذراء والطفل » ... إن كريمونا يكاد يقترب من رفائيل في تصويره لأسمى معاني الأمومة في نظرات السيدة العذراء ، وفي تعبيره عن أرفع معاني البنوة في نظرات السيد المسيح !

وقف طلايلاً أمام هذه اللوحة الرابعة ، إنها « الهجوم على عربة الحشائش » للمسل لواء المذهب الواقعي في إيطاليا فيليبو باليزي ... إن هذا الفنان يمتاز بالحساسية المرهفة ؛ الحساسية التي تطبع أعماله الفنية بطابع الحركة الجياشة المتدفقة . تمثل هذه اللوحة عدداً من المواعز يهجم في تهم بالغ على عربة محملة بالحشائش ... أنعم النظر في وثبات المواعز وفي تلك النشوة المتوهجة من عيونها وهي مقبلة في ثورة الجوع على غذائها الحبيب ، لتلمس كيف يشيع باليزي الحياة والحركة في لوحته ، وكيف يغرقها في جو من الواقعية التي تطبع الفن بطابعها القوي الصاق المتميز .. إن الحركة في فن باليزي تذكرني بمثيلتها في فن رمبرانت !

بقي أن أشير إلى لوحات أخرى تغري بالتأمل وإطالة الوقوف وهي : « الراحة » لأنطونيو فونتانيزي ، « وموسيقى المشاة » لاويجي نونو ، و « رجل يقرأ » لجيتوبي أبالي ، و « الحظيرة » لباليزي صاحب « عربة الحشائش » ، و « غروب الشمس في سان مورو » لفونتانيزي أيضاً ... أما الحجرة التي تقع إلى اليمين وأنت تتخطى الباب الخارجي فلا تحاول أن تدلف إليها حتى لا يفسد ذوقك ، إنها حجرة السير رياتزم ! !

إيفات على قبر غاندي :

هل تعرف هذا الرجل العظيم هربرت إيفات ؟ إنه وزير خارجية أستراليا ، والرجل الذي هز أعماق الضمير الإنساني حين وقف أكثر من مرة ليدافع عن حقوق الأمم الصغيرة أمام هيئة الأمم المتحدة ! لقد شاهدته منذ أيام في إحدى الصحف اليومية وهو يعج إلى قبر الروح العظيم ؛ شاهدته يقف وقفة العابد المتبتل يضم يديه في خشوع إلى صدره ، وكأن القبر الذي أمامه قد استحال إلى محراب ! ولقد خيل إلي في وقفته تلك أن عينيه تسران إلى القبر حديثاً فيه روى ما كان أروعها وأطيافه ... إن هربرت إيفات كان يتحدث في لغة الصمت إلى الرجل الذي وهب قلبه للانسانية وتحمى بحياته من أجل السلام . ترى ما ذا كان يقول له وهو في رحاب الأبد وفي ضيافة السماء ؟ وأية كلمات تلك التي انطلقت من نظراته الحالمة لترطب الثرى المطر برفات رجل السلام والوئام والمحبة ؟ ... لعله كان حديثاً عن الإنسانية التي مات فيها الضمير يوم أن امتدت إلى غاندي يد لطختها العار فأطفأت الشعلة وعصفت بالضياء ، وأي ضياء هذا الذي خبا يوم لف قضى الروح العظيم والقلب الكبير ، وترك الحياة من حوله تنبض تحت قبضة الظلام ؟ ... ما كفرت بالضمير الإنساني إلا بعد أن قتل غاندي ، وما كفرت بالضمير الإنساني إلا بعد أن وقف إيفات ليدافع عن حقوق الضعفاء فضاع صوت الحق وسط ضجيج الباطل وخفت صداه ... ترى أكان إيفات يتحدث إلى غاندي عن خيبة الأمل وضيعة الرجاء ، أم كان يسأله الرأي ويستمد من روحه العون ويقضي حقوق الوفاء ؟!

أنور المعداوي

النقد والنقد في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

شعر المناسبات :

قلت في العدد الأسبق من « الرسالة » بصدد الكلام على قصيدة « موكب الأبطال » للأستاذ على محمود طه : « وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر وجاءت قصيدته عملا ممتازاً ينبغي أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون الهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة ... » الخ

قال لي صديق من الشعراء ، وقد قرأ ذلك : أتدعو إلى شعر المناسبات ؟

شعر المناسبات ؟ تلك كانت قضية أثارها بعض الكاتبين منذ زمن ، فأزورّوا بمن يحملون أنفسهم على القول فيما لا يشعرون به بدافع المجاملة أو المَلَق أو حب الظهور أو غير ذلك من دوافع النظم التي يخلو من حرارة التعبير الصادق .

ولكن قل لي بالله أيها الصديق : إذا جاءت مناسبة قومية أو اجتماعية فخالجت نفس الشاعر أو هزت مشاعره واستجابت لها شاعريته ، أنقول له : امسك عليك لسانك فهذا شعر مناسبات؟

المسألة ليست شعر مناسبات وغير مناسبات إنما هي شعر صادق وشعر متكلف ، وكما يكون كل منهما في شعر المناسبات يكون في غيرها ، فكم من شاعر يتملح بالوجد والحب والهيام وهو لا يعرفها غير ألفاظ !

حقاً إن كثيرين من المهافتين على مائدة الشعر يكثرون من الترديد في المناسبات ، ولكن الصيرفي الحاذق يميز الصحيح من الزائف ، فلا يرفض النقود كلها لأن هناك مزيفين كثيرين .

فيلم محمد علي الكبير :

درست وزارة الشؤون الاجتماعية موضوع إخراج فلم عن حياة محمد علي باشا الكبير يصور مختلف مراحل حياته وأعماله العظيمة وفتوحاته المجيدة ، ليكون ضمن مظاهر الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على وفاته . ويرجى أن يكون هذا الفلم دعاية لمصر لما سيعرضه من روائع تاريخها في تلك الفترة التي وضع فيها أساس مصر الحديثة ، إلى أنه عمل فني يعتبر الأول من نوعه في مصر التي لو سئلت الآن عن إنتاجها من الأفلام الثقافية لصمتت صمتاً يخرجها منه فلم محمد علي المنتظر .

وقد أرسل معالي وزير الشؤون إلى دولة رئيس الوزراء مذكرة بنتيجة دراسة هذا الموضوع ، وهي تتلخص في أن اللجنة المؤلفة لإعداد المشروع قد انتهت من وضع مشروع القصة وقدرت نفقات إنجاز الفيلم باللغات العربية والفرنسية والانجليزية بمبلغ ٨٠٠٠٠ جنيه وقد أبدت شركة مصر للتمثيل والسينما استعدادها لتنفيذ هذا المشروع ، على أن تعاونها الوزارات التي يحتاج الفلم إلى معاونتها فيه وأن تمنحها الحكومة إعانة مالية قدرها ٣٠٠٠٠ جنيه ، ترد إلى الحكومة إذا بلغ إيراد الفلم مقدار نفقاته .

هذا وقد كتبت بعض الصحف تشير بأن يستعان ببعض الأجانب في تأليف قصة الفلم وكتابة (السناريو) . وهو رأي لا أراه على شيء من الصواب ، لأنه فلم قومي ولا بد أن يشتمل على نواح سياسية قد تصطدم رضاء بعض الدول الاستعمارية التي كانت تناوئ مصر وتعمل على إحباط مساعي محمد علي ، كما حدث في حرب المورة وإرسال الأساطيل إلى الاسكندرية .

فإذا قيل إن من تختارهم للعمل في الفلم من الأجانب سيعملون تحت إشرافنا وإنهم لن يستطيعوا أن يشوهوا مفاخرنا ، أقول : كيف تحملهم على تزويد الفلم بالحرارة القومية التي لا يشعر بها إلا المصريون ؟

إن إعداد الفلم وإخراجه بأيد مصرية يكسبه الحياة ويلبسه الروح الوطني المنشود ولو جاء غير مستكمل لأسباب الكمال الفني ثم هي فرصة طيبة لتجربة الجهود المصرية وتدريبها في هذا المجال .

بيان وتعقيب :

التقيت بالأستاذ عبد الرحمن الخميسي على أثر ما كتبته(١)

(١) العدد ٨٢١ من « الرسالة »

من قطعتين له هما «فليا يافليا» و «حلم الزواج الساحر» وكان قد اتصل بي بالتليفون قبل اللقاء كما ذكرت في الأسبوع الماضي وتحدثنا في الموضوع فأفضى إلي بوجهة نظره فيه ، وهي تتلخص في أن تبتك القطعتين من «أوبريت الأرملة الطروب» التي قصد بترجمتها إلى العربية نقل فن من الموسيقى الغربية إلى الأسماع الشرقية لتتعود هذا النغم ، عسى أن يؤدي ذلك إلى ترقية الموسيقى العربية ، وأنه حين ترجم القطعتين كان في جوقتك الموسيقى العالية ، فكان يساير نغماتها ، وينظم مقاطع موافقة لها وإن كانت مخالفة للأوزان العربية ، إذ كان غرضه أن يحافظ على النغم ويؤلف مقاطع للغناء لا شعراً للقراءة . وقال الأستاذ : إنه لا يعرف من أين جاءت كلمة (الواج) التي لا معنى لها في قوله :

لو أنني في الواج
أغلقت قلبي بالرتاج

ولا يذكر لها أصلا . أما (لو) في قوله :

أواه لو تكن مي
حبيبتي ضياء عيني

فأصلها (إن) وقد حرفت في الطبع

وأنا لا أوافق الأستاذ الجليس على ما ذهب إليه في إخضاع تأليف الأغنية للنغمات الغربية ، وللأستاذ مذهبه وذوقه في الموسيقى الغربية ، أما ذوقنا في موسيقى الشعر وغنائه فهو منطبع على الأوزان العربية ، ولست ممن يستسيغون ذلك الذي يسميه النغم العالمي ، ثم هل يصح أن نؤلف كلاماً غير مفهوم لينسجم مع لحن ما ؟ إننا إذن نحتاج إلى إعادة النظر في أن «كلامنا لفظ مفيد كاستقم» لنرى هل نستغني بعض الأغنيات لغرض موسيقي ، من كلامنا المفيد ...

استقلال مجلس الإذاعة :

يتضمن قانون الإذاعة الجديد الذي تبحثه الجهات المختصة أن تمنح الإذاعة استقلالا ذاتياً فيما يتصل بالأعمال الفنية . ولكنها تخضع في ميزانيتها العامة لوزارة الشؤون الاجتماعية وألا يكون مدير الإذاعة عضواً في مجلس إدارة الإذاعة وله أن يحضر جلساته بصفة مستمع فحسب ، وكذلك المستشار .

وقد كان ذلك القانون مثار جدل وأخذ ورد بين إدارة الإذاعة وبين الجهات التشريعية في الحكومة ، وكانت الإذاعة حريصة على المطالبة باستقلالها لتكون بعيدة عن التيارات الحزبية السياسية ، وقد نالت

كشكول الأسبوع

□ أشرنا فيما مضى إلى اتجاه في مجمع اللغة نحو إرجاء الانتخاب إلى الكرسي الخالي من قبل حتى ينتهي الترشيح للكرسي الذي خلا بوفاة الجارم . وقد استقر الرأي على ذلك ، وتنتهي مدة الترشيح الثاني في الأسبوع القادم ، ثم تحدد جلسة لانتخاب العضو . وقد تولى في هذا الأسبوع الدكتور محمد شرف بك عضو المجمع .

□ رأت الفرقة المصرية أن مسرحية «اللص» التي كتبها لها الأستاذ توفيق الحكيم ، تحتاج إلى تعديل في قطعتين ، الأولى تتعلق بالنقد الاجتماعي ، والثانية ارتفاع المستوى الفكري في بعض أجزاء الرواية عن مستوى الجمهور . وقد قبل الأستاذ الحكيم أن يحذف من نقد الطبقة الأرستقراطية ولكنه متوقف في النزول إلى مستوى الجمهور .

□ تلقى الدكتور طه حسين بك دعوة من جامعة لندن لإلقاء سلسلة من المحاضرات فيها أثناء شهر مايو القادم .

□ نشرت «المصري» يوم الثلاثاء الماضي ما يلي : «وزع حضرة الأستاذ توفيق مفرج والسيدة المحترمة مدامه الدعوة لحفلة عشاء الخ» وكلمة (مدامه) خطأ محض لغة (الخواجات) وعجمتها (الشام بتاعه ...) .

□ كانت إحدى المجلات تذيع نشرة الأخبار الثانية يوم الاثنين في الأسبوع الماضي ، فقرأت البلاغ الرسمي الصادر في زواج سمو الأميرة فوزية هكذا : «تم اليوم بقصر القبة العامر عقد جواز ... الخ» وقد نشر البلاغ بالصحف والكلمة فيه «زواج» لا (جواز) فأين كان عقل المذيعة ..؟

□ كتبت الحكومة الإسبانية إلى وزارة المعارف تقول إنها قررت تدريس اللغة العربية والفن العربي في جامعاتها ، وتبدي استعدادها لقبول بعثة من الطلبة المصريين على نفقتها ، لدراسة أصول الحضارة العربية في الأندلس . هذا وقد نشرت «أخبار اليوم» خطاباً يقول صاحبه فيه إن مصر تقبل الطلبة من أبناء البلاد العربية في معاهدها وتعلمهم على حساب دافع الضرائب المصري ... ويدعو إلى منح ذلك ! فليت شعري ماذا تقول إسبانيا — جريا على هذا المنطق العجيب — إذا قبلت حكومتها طلبة مصريين ؟

□ صدر أخيراً كتاب «فولتير» للكاتب الفرنسي أندريه موروا ، وقد عربه الأستاذ عبد الحميد الدواخلي المحرر الأول بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فأخرجه في أسلوب عربي جميل .

□ تلقت وزارة الخارجية من اتحاد البريد العالمي أنه قرر اعتبار اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية له ، وقد صدرت مجلة الاتحاد باللغة العربية إلى جانب اللغات الأخرى .

□ قررت حكومة الباكستان جعل العربية لغة رسمية في بلادها ، وهي بسبيل وضع الخطة واختيار الكتب لتعليمها ونشرها بين الباكستانيين .

هذا الاستقلال في الجانب الفني من أعمالها . ولكن هناك استقلالا أهم من ذلك وأبعد أثراً في تنظيم هذه الناحية الفنية وهو استقلال مجلس إدارة الإذاعة من موظفيها من المدير والمستشار والمراقب وغيرهم

ترى مجلس الإذاعة يجتمع وينفض ، وتنشر الصحف ومجلة الإذاعة أنباء اجتماعه والموضوعات التي نظر فيها والقرارات التي اتخذها ، وإذا هي لا تكاد تخرج عن علاوات الموظفين وترقياتهم وتحديد أجور الفنانين ومبنى الإذاعة الجديد . وكأنها صيغة معدة أو قطعة محفوظة أو « شريط مسجل » يذاع على أثر كل اجتماع وكأن هذه البرامج التي أجمع الناس على سخفها ليست من اختصاص مجلس الإذاعة .

والواقع أن موظفي الإذاعة « الفنيين » يقدمون من يشاءون ويؤخرون من يشاءون ، ويتطلعون الكبير ويحظون ود النافع حتى أصبحت الأمور في الإذاعة تجري وفق الاعتبارات الشخصية أكثر من الاعتبارات المصلحية . وترفع الأوراق إلى مجلس الإذاعة للموافقة ، فيوقع الأعضاء بالموافقة ، ثم ينظرون في علاوات الموظفين ومبنى الإذاعة الجديد .. الخ

وقد تضمن القانون الجديد أيضاً أن يؤلف مجلس الإذاعة من أحد عشر عضواً ، ستة من الوزارات وثيقة الاتصال بأعمال الإذاعة ، وخمسة من كبار المشتغلين بالأدب والثقافة . وحسن جداً ألا يكون المدير أو المستشار عضواً في هذا المجلس كما ينص القانون الجديد ليتم للمجلس استقلاله ، فيبحث كل شيء ، ويناقش كل ما يجري ، ويضع خطة وهدفاً يشرف على تنفيذها بحيث لا يحيد عنهما أحد .

وكما نحرص الإذاعة على استقلالها لتكون بمنأى من الحزبية السياسية ، فإن مجلس الإذاعة يجب أن يكون مستقلا عن الموظفين ليكون هو أيضاً بمنأى من حزبيات موظفي الإذاعة واعتباراتهم الشخصية .

منه طرف الأسبوع :

زرت الصديق الكبير الدكتور إبراهيم ناجي في مكتبه بمستشفى الخازندارة ، والدكتور الأديب هو مدير المستشفى ، فبادرني قائلا : اسمع لما أقول لك . ليس هنا أدب ، ولا فن . هنا طب وأطباء فقط . ثم أخذنا في حديث الأدب والشعر ، ولم أخرج من عنده حتى اتفقنا على تعريف الأدب (بلغة الطب) بأنه داء لا برء منه .

ومما أطرفني به الدكتور أبيات قالها لصديقه الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير التموين عند ما ذهب إلى معاليه في الوزارة وافق هناك ما لقي من السكرتير ، فكتب الأبيات وطلب من السكرتير أن يوصلها إلى معالي الوزير ، وانصرف . والأبيات هي:

لم أنس في باب الوزير الذي ... لقيت من ركن ومن لطع
وعسكري قائم دونه ... كالسيف في طول وفي قطع
وللأفندي نفخة مرة ... ذممتها ما شاء لي وسبي
وكيف أنسى مرة موقفي ... عندك بين السيف والنطع

ومن طرف الأسبوع أيضاً أن الآنسة أماني فريد قدمت قصيدة إلى جامعة أدباء العروبة لتلقيها في الحفل الذي أقامته الجامعة للاحتفاء بأبطال الفلوجة ، وأول القصيدة :

أأبصرتمو العاصف المرعدا ... أأبصرتمو الضيغم الأسودا

ولما عرضت القصيدة على معالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا ، واطلع عليها ، وردت على خاطره قصيدة الأستاذ علي محمود طه التي أولها :

أخي جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدا

فقال معاليه : إما أن يأتي الأستاذ على طه فيأتي بنفسه وإما لا !

عباس خضر

الأستاذ محمود الخفيف

يقدم

أحمد عرابي

ثمنه ٥٠ قرش

حول نيتشة وڤجنر :

يقول الأستاذ محمد فهمي في الرد على الأستاذ أورالعداوي : « أما سبب ذلك الانقلاب — أي انقلاب نيتشة على ڤجنر — من النقيض إلى النقيض للفيلسوف على صديقه الموسيقار فيعزوه المثقفون أو بعضهم على الأقل إلى علاقة غرامية أحس بها الفيلسوف نحو زوجة صديقه الفنان » ولا يمكن أن يكون في هذه الأسباب الصغيرة سر تحول رأي نيتشة في الفنان الكبير ؛ وإن نيتشة يعتبر في تاريخ الفلسفة الواحد الفرد الصارم العميق والذاهب إلى الحقيقة كيفما كان ثمنها ، والذي ظل يحارب المرض والجنون والفقر سعياً وراء الحقيقة حتى دفع ثمنها آخر قبس من نور عقله العظيم .

والأستاذ « محمد فهمي » لم يصور لنا بأسلوب علمي صريح معنى فكرته ؛ فأي شيء يعنيه لنا تأثر نيتشة بڤجنر ؟ هل يعني بهذا أن ڤجنر تسلط على نيتشة بسحره السحري حتى شكله تشكيلاً موضوعياً ؟ ومعنى هذا أن ڤجنر شكل أسلوب تفكير نيتشة ولون ميوله الفنية والفلسفية ووجهة نظره نحو الناس والأشياء وأوضاع الكون حتى نراه قد حارب في الميدان الفكري الذي حارب فيه ڤجنر ومن أجل فكرة ڤجنر !

هذه الصورة من التأثر هي التي تشغل مكانها في أحكام النقد الفلسفي . فنحن نقول مثلاً : إن « إنجلز » تأثر « بماركس » لأنهما حاربا من أجل فكرة واحدة وغاية واحدة في الحياة ، وهذا هو الذي لم يحدث بالنسبة لنيتشة وڤجنر ، فإن نيتشة قد تأثر بڤجنر كصديق وتأثر بشوبنهور كأستاذ ، وكانت سنه في ذلك الحين قرابة الخامسة والعشرين ، وكانت هذه المرحلة بالنسبة لنيتشة مرحلة تحصيل واستيعاب : مرحلة هام فيها الفيلسوف الشاب وراء الحقيقة تساوره الوساوس والشكوك في قيمة الوجود ومعنى الحياة ، وأخيراً وجدها نيتشة قائمة في نفسه ، وإذ ذاك وصل إلى نقطة الارتكاز فثار بعقله الجبار على كل الأصنام ، ودعا إلى تحطيم ألواح الوصايا والآراء الفلسفية القاصية إلى الحياة السلبية ، وقد أيقن في قرارة وجوده الفلسفي أن الإنسان العظيم هو الذي يبدع القيم والاعتبارات ويخلع على الحياة لون تفكيره .

وعندما وصل نيتشة إلى المرحلة الإيجابية من حياته تنكر للصديق والأستاذ تنكراً شريفاً من أجل رسالته الفلسفية ، فاحتفظ بحبهما ولكنه حاربهما في أقدس ما آمنا به من آراء ومعتقدات في قيمة الفن ومعنى الحياة .

ولذلك تعتبر خصومة نيتشة لشوبنهور وڤجنر مفتاح شخصيته الحقيقية ؛ إذ هي المرحلة التي ابتدأ بعدها يخاطب الحياة كفيلسوف لأن هذه الخصومة كانت الأساس الذي بنى عليه أخطر آرائه في القيم والأوضاع والفن . وقد اعتبر نيتشة أن مرحلة الإخلاص للأستاذ وللصديق كانت فترة نوم عميق وتخدير لرغبات الحياة فبدا كالهادم التائب الذي زال من صدره عامل الرحمة والإشفاق حين راح يحطم أسوار الشرائع وأبراج الأخلاق .

يقول نيتشة : « يجب على طالب الحقيقة ألا يخجل بما تجنيه عليه جهوده من انتصار أو اندحار فهذا من شأن الحقيقة ، إذ عليه أن يكون خصماً قاسياً لما آمن به من آراء وحقائق ؛ فإذا صادفه من الآراء ما يناقض الحقائق التي قال بها فعليه أن يأخذ بها دون تردد » — وهكذا كان شأن نيتشة في كل شيء فهو مخلص للحقيقة حتى ولو كانت ضد آرائه التي قال بها .

يقول نيتشة عن صداقته لڤجنر ومن اتجاهه الفلسفي : « كنا صديقين غريبين ... كلانا له غايته وله سبيله ... قد نتلاقى ونرفع أعلام اللقاء كما فعلنا ... ولكن الضرورة التي لا تدفع قد تقذف بمركبينا قذفة جديدة نحو بحار مختلفة وأنواء متباينة . قد نتراءى ولكن لا نتلاقى ... كم لوحتنا الشمس والأمواج !! نظل غريبين لأن الشريعة الثانية تريد ذلك ، ولكن صداقتنا تبقى شيئاً قدسياً .. وهكذا نريد أن نؤمن بصداقتنا في النجوم ؛ حتى في العهد الذي يجب أن نكون فيه خصمين على الأرض » .

إن هذا وحده يكفي للاستدلال على أن نيتشة يحترم عزيز الذكريات في نفسه لصداقته للفنان ؛ ويجحد بعنف رسالة ڤجنر الفنية لأنها لا تمثل حقيقة الحياة ، وفي ذلك اعتراف ضمني على أنه لم يأخذ من ڤجنر شيئاً ولم يتأثر به . وقد رأينا فيما مر بنا من الأدلة شيئاً من الجزم والوضوح يكفي لهدم ما يدعيه الأستاذ « الخيسي » من أنه « نتق أكمام عبقرية نيتشة » :

فما كان لهذا المفكر الجبار أن يتأثر أو يستمد وجوده الفلسفي من أي إنسان مهما تكن مكانته في الحياة الفنية ؛ وهو

الذى قال فى « زرادشت » لرفاقه وأنصاره : « ماذا يهم (زارا) من جميع المؤمنين به ؟ إذ عليكم أن تجحدوني لتجدوا أنفسكم ».

ابراهيم المصري السروجي

هل من المحسن استعمال الحروف المنفصلة كتابة وطباعة ؟

إن الكتابة بالأحرف منفصلة لا تكون أمراً محدثاً أو شيئاً جديداً فيما إذا جرى عليها الخط العربي ؛ إذ لو نظر القارئ الكريم إلى تاريخ الأبجدية العربية لعلم أن هذه الطريقة قد سار عليها الخط العربي فى أول نشأته سواء فى بلاد اليمن ذات الحضارة القديمة أو فى عهد مملكتي : لخم وغسان . كما أنه سارت عليها جل الأبجديات السامية كالفينيقية والآرمية والمسند والسريانية والعبرية والسامرية وغيرها . ولا زالت بعض هذه الخطوط مستعملة إلى وقتنا الحاضر وعلى نفس الطريقة المذكورة كالأمهرية فى الحبشة وغيرها .

وأنا لا أرى بقولي هذا إلى نبذ الطريقة المتادة (المتصلة الحروف) كلا . . بل مرماي الوحيد استعمال كلتا الطريقتين معاً على حسب ما يقتضيه المقام والذوق والفن .

إن فى استعمال الطريقة المشار إليها قد لا تخلو من أمور لها أثرها الحسن بل ربما كانت خطوة طيبة فى مضمار الخط العربي ومجاراة للتجدد النافع . ومن الأوفق الآن أن أعرض على القارئ الكريم بعض النقط التي قد نستفيدها فيما إذا انبعت هذه الطريقة فى بعض الحالات فأقول :

أولا : يسهل بهذه الطريقة تعليم الأبجدية العربية قراءة وكتابة ، وذلك لعدم لزوم تنويع الحرف كتابة فى أول الأمر

ثانياً : سهولة التصفيف بها فى الطباعة مع اقتصاد الوقت والعمل .

ثالثاً : سهولة ضبط الكلمات المطبوعة بها .

رابعاً : بساطة تجسيمها للأطفال (بالورق المقوى) ونحوه مع الحركات وقدرتهم بعد ذلك على تركيب مختلف الكلمات وقراءتها .

خامساً : وضوح الكلمات المكتوبة أو المطبوعة بها ، وذلك لبروز وضعها وظهور شكلها ولو مع صغر حجمها

سادساً : السلامة من الالتباس والغموض والتعقيد فى الكلمات المرسومة بها . والتي طالما نعثر ببعض الكلمات فى الطريقة المتادة لاندماج حروف هذه الكلمات وتركيبها مع عدم ظهور شكلها ولاسيما فى الكتابة الخطية

سابعاً : عدم إيجاد أى صعوبة فى تطبيق هذه الطريقة ، إذ لا يعزب عن القارئ الكريم أنه ما فتئت هذه الطريقة متبعة فى بعض الكلمات فى الطريقة الحالية ، وذلك فيما إذا كانت الكلمة مركبة من بعض الحروف الستة الآتية : ا و د ذ ر ز ، أو مع حرف متطرف كما فى الكلمات : رزق زرع أدب ، روض ، دروس ، إدراك الخ . وهذا مما يجعل تطبيق هذه الطريقة طبيعياً

وقد رأيت من الجميل أن ألفت القارئ إلى أهم الحالات أو المواطن التي يجب أن تتبع فيها الطريقة المذكورة إتماماً للفائدة

١ — كتابة عناوين الكتب والنشرات والمواضيع إذا أريد بروزها

٢ — فى رسم أسماء الأعلام المختلفة والكلمات المتشابهة كتابة والتباينة نطقاً كما فى كلمات الدُّرَّة والدُّرَّة والدُّرَّة والدُّرَّة والحِلْم والحُلْم وغيرها ، والمراد وضوح شكلها وضبطها

٣ — فى كتابة جذور مواد المعاجم ومشتقاتها لأبراز وضعها بالنسبة لشرح المادة ولتنسيق ضبطها بالحركات والسكون .

٤ — فى كتابة أنواع اللوائح (اللافتات) ونحوها .

٥ — فى كتابة أو طبع مختلف الإعلانات أو بعض فقراتها طبقاً لما يقتضيه الذوق أو الحاجة .

٦ — فى كتابة الأسماء والعناوين الشخصية إذا لزم توضيحها .

٧ — فى سبك الأختام وما شابهها .

٨ — فى كتابة أو طبع الفقرة أو الفقرات المراد إبرازها للقارئ فى صفحات الكتب أو أعمدة الجرائد والرسائل ونحوها .

هذا ما رأيت إثباته على صفحات « الرسالة » الغراء إذ ربما يكون فى الأمر ما يلفت القارئ الكريم ، آملا أن يجد فيه ذوو الشأن وأرباب المطابع ما يرتاح له ذوقهم ويلائم الواقع والله وحده ولي التوفيق .

(طرابلس الغرب)

عيسى سالم الأسطور

الشـــروق

ديوان شعر للأستاذ حسن كامل الصيرفي

بقلم الأستاذ مختار الوكيل

علم الله كم فرحت وسعدت حينما أهدى إليّ صديقي الكبير الأستاذ حسن كامل الصيرفي ديوانه الجديد الأنيق « الشروق » . فرحت لأنه أعاد إلى ذاكرتي تلك الحقبة الطيبة المباركة من مطالع الشباب النزر الطافر ، التي تعارفنا خلالها وتعاونا في ظلال تلك الدوحة الأدبية الفنية الوارفة الظلال « أبولو » التي رعت النهضة الشعرية في هذه البلاد وفي سائر بلاد العروبة ، وأحدثت — بفضل نشاط باعثها الدكتور أبي شادي نزيل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم — نهضة وثابة جريئة في دنيا الشعر والأدب ؛ فعليها وعلى باعثها ورائدها الأول ألف تحية وسلام !! .. وسعدت لأن الشعر الأصيل الحي لا يزال ، في هذه الآونة التي طغت المادية فيها على كل شيء عداها ، يجد التأييد والمؤازرة الصادقة من الناشرين المخلصين الذين يأبون إلا أن يطلعوا القارئين على روائع الإنتاج الأدبي ، فيسوقون إليهم هذا الشراب الخالد من نبع الشعر الكريم ليكرعوا منه فتطهر نفوسهم ويذهب عنها ما يرين عليها من صدأ المادية الصماء !! ..

***

عرفت الصيرفي إذن منذ ستة عشر عاماً شاعراً متصوفاً يميل إلى الرزانة ويجنح إلى الإغراق في التأمل ، لا ينظر إلى ظواهر الأشياء والرئيات وإنما يجسمها ويغوص إلى باطنها باحثاً عن صميمها وجوهرها ، ويتغنى التجارب الشخصية ويكابدها ولكنه لا يتحدث عنها ، إذ ينظم ، حديثاً شخصياً وإنما يسوقها مبلورة في تجارب عامة مما يعانيه جمهرة الناس في كل مكان وزمان . أجل ، وعرفت الصيرفي في ذلك الحين شاعراً رشيق اللفظ موسيقي الجرس ، يحسن بموسيقاه الطلية المنغومة التعبير عن نفسه العانية وروحه النقية الشفافة ، كما عرفته شاعراً صادقاً لا يتعب الناقد في التعرف على شخصيته مما ينظم ! وبينما كان معظم الشعراء أو الذين عرفوا بأنهم شعراء ينظمون في المناسبات التافهة ويمدحون ويتهالكون على الملق والرياء ، ويرثون ويعزون في تكلف البكاء ، كان حسن كامل الصيرفي من القلة الثائرين على تلك الأوضاع المتكلفة المقيتة ، الذين يؤثرون النظم عندما تتحرك عواطفهم وتجيش نفوسهم وتستعد لاستقبال « الوحي » الفني ، ولو كان ما ينظمونه في قطعة ببكاء أو سخرة جرداء !! .. وعرفت الصيرفي في طليعة المنيبين بمثابة الحركة الشعرية في مختلف الأقطار العربية ، بل وفي بلاد المهجر ، فكان يواصل الكتابة ناقداً ومقدماً ومعقباً على النتاج الشعري والأدبي والفني في بلاد المهجر وبلاد العروبة على اختلافها ، وتولى في غير مَنٍّ تعريف الأدباء المصريين وسفائهم في المهاجر الأمريكية وفي الأقطار العربية الأخرى ، في زمن قلت فيه الصلات والروابط فيما بينها . ولعل شاعرنا قد شغف حباً بأدب المهجر ، ولعل نفسه انجذبت إلى تلك الينابيع المتحررة في المهاجر فتاقت إلى انتشاق نفي مماثل .. !! ومن هنا تلاقت روحه بأرواح أولئك المجددين عبر الأطلنطي ، وامتزجت بها في انسجام رائع أنتج لنا تلك الأشعار « الصيرفية » التأملية الصوفية ذات الموسيقى المنغومة والألفاظ الرقيقة الوضيئة !! ..

***

ذلك هو الصيرفي الشاعر كما عرفته منذ ستة عشر عاماً ، وازدادت معرفتي به توثقاً بما كان ينظم وينشر من دواوين حافلة ، إلى أن تفضل فأهداني بديوانه الجديد « الشروق » . فهل تغير الصيرفي أو حاد عن الاتجاهات التي جعلها قبلته ، أو آمن بشعر المناسبات ، أو عزف على أوتار أخرى كانت غريبة عنه في ذلك الشباب الباكر ؟ أشهد لقد طالعت ديوان الصيرفي الجديد فتملت حيالي في كل قصيدة ، بل وفي كل بيت من قصيدة ، تلك العناصر التي امتاز بها شعره الباكر ، وإن كانت الأيام والتجارب قد مكنت لتلك العناصر وأبرزتها في أقوى صورة وأنصع ديباجة .

دافع الشاعر فى قصيدته الأولى عن الشعر ووجه الخطاب فيها « إلى أولئك الذين يقولون إن الشعر لم يعد من مستلزمات هذا العصر » ، ولقد ذكرت ، وأنا أطالع هذه القصيدة الرائعة ، دفاع الشاعر الإنجليزى ب . ب شيلى عن الشعر ، وأشهد أن قصيدة الصيرفى هذه قد هزتنى وحركت شجونى ؛ وأعتقد أنها قصيدة بارعة رائعة ، ولقد أعجب غاية الإعجاب بقوله :

فيوم نُفارق الدنيا وتلك قصيدة الله
سنغرق فى صداه المذهب بين ضبابه الزاهى

وهنا يلخص الشاعر الكون كله ويختصره ويعتبر نهايته « القصيدة الكبرى » قصيدة الشاعر الأكبر المعجز !

ولعل قصيدة « الحرمان » التى أهداها الشاعر إلى صديقه الدكتور أبى شادى ، الذى ناضل وجاهد ، وأحس بمرارة الحرمان؛ هى من خير قصائد الديوان ، بل لعلها من أقوى القصائد التى تصور الحرمان فى الشعر العربى الحديث . اسمعه يقول :

أعبد الحسن زهراً فى كوكب
أجتليه صامتاً لم أعرب
وهو لم يشعر بإحساسى وبى . . . !
خاطر من حسنه فى موكب
مشرق من نوره المنسكب
فائض الكأس شهى المشرب . . !

ولا أستطيع التعليق على هذه اللوحة الفنية البارعة ، لأن كل محاولة تبذل فى هذا السبيل إنما تشوه من جمالها وتخدش من ملاحتها ، واستمع إليه حيث يقول :

كلما جئتُ بمعنىً مُشرب
عن هوى قلب ولوع متعب
فرَّتْ الألفاظُ حيرى تختبى
فهى كالشمعة فى عين الأبى
وهى كالفكرة فى ذهن الصبى . . !
وهى كالقتنة فى قلب النبى . . !

والواقع أن الشاعر الذى تفر منه « الألفاظ » وهو يبحث عنها جاهداً ساعة الاحتشاد للنظم هو وحده الذى يستطيع أن يدرك جمال الحيرة وجلال اللوعة المختلجين فى هذه الأبيات المعبرة غاية الإعراب عن القلق والحرمان

أما أغنية « الفيلة » فهى من أرق المقطوعات الغنائية التى طالعتها أخيراً ، وهى جديرة بأن تلحن وتغنى فتطعم أغانينا بطراز رائق من الفكر الممتاز والمعنى المستطاب ، ويا حبذا قوله منها :

أغرودة فى الكون يطوى بريق العيون
فيها ، فتور الجفون
لو ردَّتها الشفاه
فى لثمها . بادلينى !

* * *

والصيرفى فى قصيدته « اجلينى حلماً » شاعر متصوف حالم رقيق اللفظ نقىّ الصور ، ويا ما أبرعه حيث يقول :

إجلينى حلماً يطوف ويسرى من قلوب الورى إلى شفتيك
اجلينى حلماً لذيذاً شهياً مثلما يحلم الفقير بملك
اجلينى حلماً كما أنت حلمى فأريك الحياة من غير إفك
بلبلات الخيال تنقل عنى شعر قلب نقاته أنا منك

كذلك يبلغ الصيرفى المدى فى الإجادة فى قصيدته « الأفق » حيث يقول :

أنت كالأفق إذا حاولت أن أبلغ الغاية منه بعدا
تعبت عيناى فى إدراكه وشكت رجلاى فيه الجددا
أشهد الأسرار فيه تختفى كالأغانى فى تضاعيف الصدى
فإذا حاولت أن أكشفها صرت سراً طيها قد خلدا
ليتنى أفق ! فلا أتعب من يرتجى الأفق وقربت المدى !

كذلك يبلغ الصيرفى أقصى غايات الإبداع فى قصائده العاطفية الصادقة « تهداتى » و « القائد الدحور » و « وحدة العمر » ، وهذه الأخيرة مقطوعة من الشعر التجريبى المشوب بالفلسفة الهادئة الرزينة ، على الرغم مما تنطوى عليه من مرارة وسخرية كما فى قوله :

تعال فربما جاوزت دارى
فتجزينى الحياة إلى قرارى
فأمشى بين أضواء النهار
إلى ليلى وجهزأ بى انتظارى !

وشد ما أعجبت « بنشيد الثورة » الذى نظمه الشاعر فى

نوفمبر عام ١٩٣٥ وكم يكون رائعاً ومفيداً لو وجد هذا النشيد عناية من ملحني العصر البارزين ، ولا أحب أن أنبس منه هنا ، فيحسن الرجوع إليه جلة في الديوان ، لأن النقل منه يشوه جماله.

ولقد لاحظت في شعر « الشروق » ظاهرة « جديدة » هي ميل الشاعر إلى الإكثار من الحديث عن « الصمت » و « السكون » ففي قصيدة « إلى الميد » يقول :

«والصمت» ينمره ويفني ذاته وقد يكون «الصمت» خير تعبد

ويقول في القصيدة نفسها :

طال الوقوف به تأميا «صمته» هل تنفع النجوى بباب موصد؟

ويقول في قصيدة « ساعة اللقاء » :

ساكن الأرض « صامت » في حنين
لنشـــيد صريح من سمائك

وفي « ثمرة الفن » يقول :

ما أعجب « الصمت » أحياناً وأنطقني !
فهل يحرك هذا « الصمت » منشده ؟

وفي « تهدافي » يقول :

قالت : علام تهدافك في « سكونك يا حبيبي ؟
هل أنت في فردوس حبك حامل عبء الغروب؟

وفي « ثورة الجدول » يقول :

« سكنت » إليه « سكون » الملى
أمام جـــلالة عـــرابه
يعانق نور الجلال البعيد وينسى الرغائب في بابه

وفي « موت فنان » يقول :

أأنت يا « صامتا » تؤوب أيامه للدى البعيـــد

ويقول :

هجرت أخانك العذاب وعشت في « صمتك » الحزين

ويقول :

« أصمتك » الوحش الكئيب يا هاتف الأمس سخريه
بعالم منـــرم يذوب على ترانيم أغنيـــه ؟

ويقول :

قد خف في « صمتك » الحنين بروحك الحية الصدى !

إلى غير هذه الإشارات والتعبير والصور التي تنوه بالصمت وترسم السكون في لوحات موحشة وأخرى ساخرة أو حزينة أو متفلسفة أو رمزية .

حقاً لقد سعدت بمطالعة ديوان العبر في الجديد «الشروق» هذا الديوان الذي أضاف كثيراً إلى ثروة الشعر المصري الأصيل المبتدع الذي نسعى جاهدين لكي يزداد ازدهاراً وإشراقاً ، حتى تكون له آخر الطاف على مدرسة الاتباعيين والتقليديين الذين يعيشون على المدائح والمراثي والمجاملات والمناسبات .

فهنيئاً لمدرسة الجديد بهذا الديوان الرشيق الذي سكب فيه شاعرنا الكبير روحه المتأملة ، وعاطفته الخالصة ، وموسيقاه الرقيقة ، وهنيئاً لشاعرنا بهذا الإنتاج القيم الذي نرجوه أن يتصل ويستمر لخير النهضة الشعرية .

مختار الوكيل

لجنة النشر للجامعيين

تستأنف نشاطها وتقدم

كتاباً ممتـــازاً

للأستاذ الكبير سيد قطب

العدالة الاجتماعية في الاسلام

٢٧٠ صفحة من القطع الكبير ٢٥ قرشاً

يطلب من مكتبة مصر بالفجالة

وسائر المكتبات

محمود الخفيف

يقـــــــدم

ابراهام لنكولن

هدية الاخراج إلى عالم المدنية

يطلب من «دار الرســـــالة»

ومن المكتبات الشهيرة وثمنه ٣٥ قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحـــكومة المصرية

تحصيل رسوم إضافية للسفر بالقطارات السريعة

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور بأنه قد تقرر تحصيل رسم إضافي على القطارات السريعة المبينة بعد والتي تسير بين مصر والأسكندرية وبين مصر وسوهاج بالدرجات الثلاث ابتداء من أول أبريل سنة ١٩٤٩ .

القطار الذي يغادر القاهرة إلى الأسكندرية في الساعة	٨ و ٣٠ د و ١٧ و ٣٠ د
القطار الذي يغادر الأسكندرية إلى مصر في الساعة	٨ و ٠٠ د و ١٧ و ٠٠ د
القطار الذي يغادر القاهرة إلى سوهاج في الساعة	١٢ و ١٥ د
القطار الذي يغادر سوهاج إلى القاهرة في الساعة	٨ و ١٥ د

وتحصل الرسوم الإضافية طبقاً للفئات الآتية حسب فئة كل منطقة كما وتقسم هذه الأجور بنسبة المسافات .

	درجة أول	درجة ثانية	درجة ثالثة
	مليم	مليم	مليم
من مصر — الأسكندرية أو سيدي جابر أو بالعكس	٢٠٠	١٥٠	١٠٠
من مصر أو الجيزة إلى سوهاج أو بالعكس	٤٠٠	٢٥٠	١٥٠